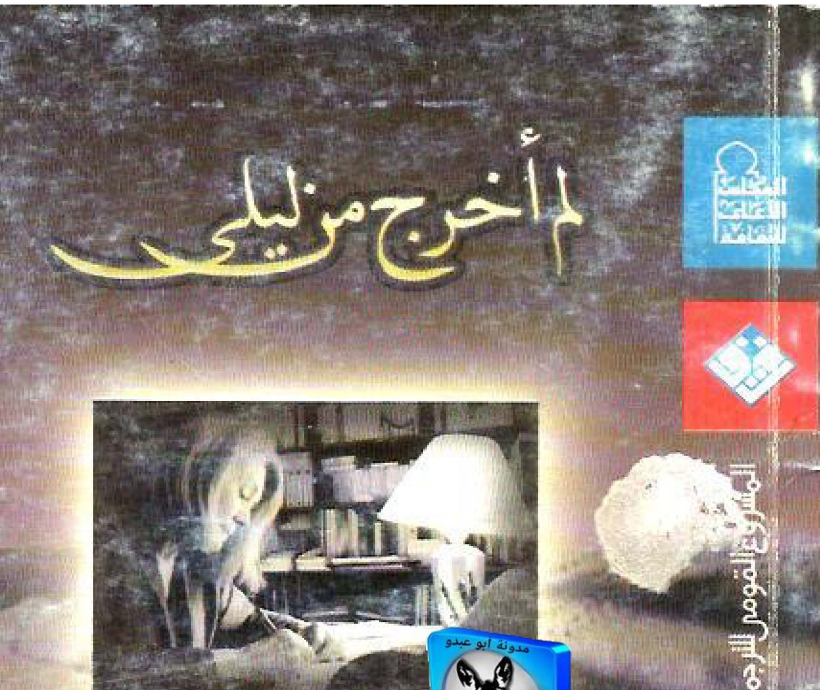


تأليف: آني إرنو

ترجمة: نورا أمين

813

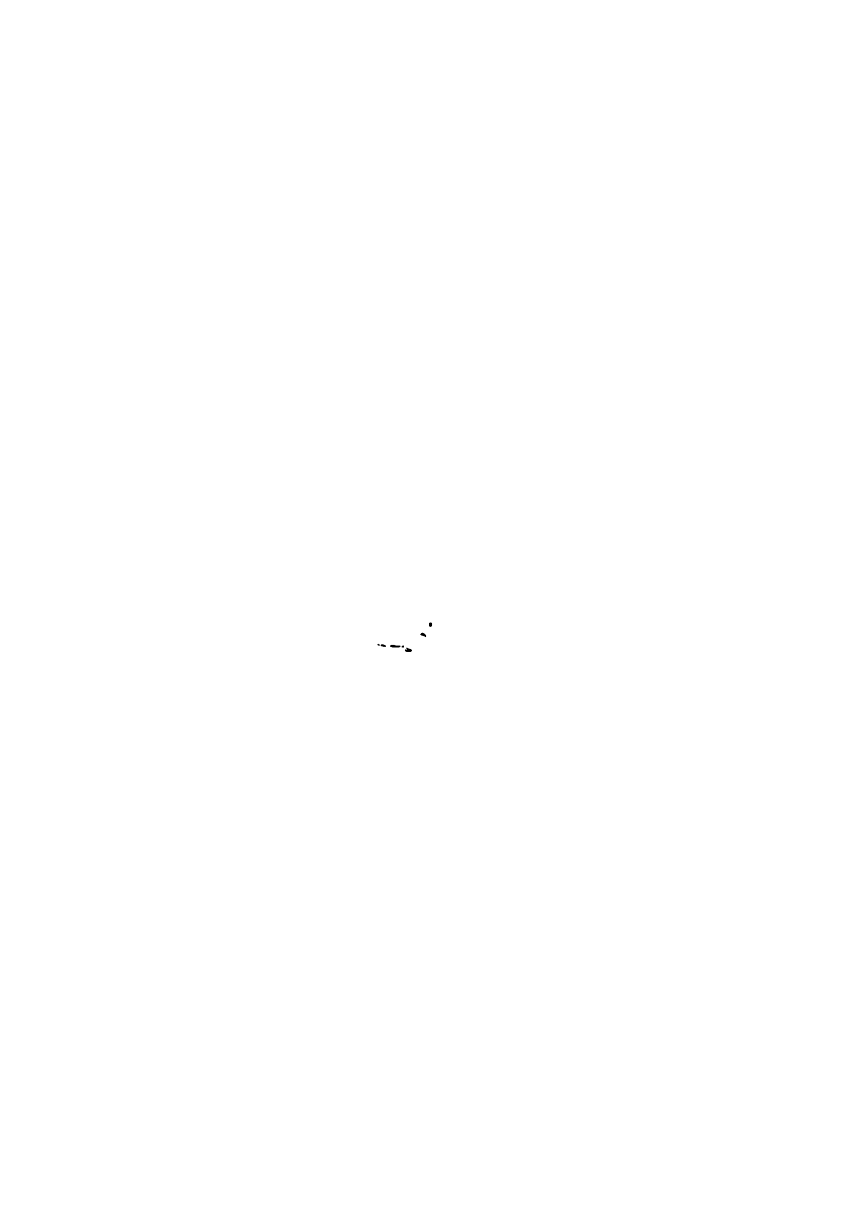
المشروع القومى للترجمة

"لم أخرج من ليلى"

تأليف : آنى إرنو

ترجمة : نورا أمين





المشروع القومى للترجمة
إشراف : جابر عصفور

- العدد : ٨١٣
- "لم أخرج من ليلى"
- آنى إرنو
- نورا أمين
- الطبعة الأولى ٢٠٠٥

"Je ne suis pas sortie de ma nuit"
Annie Ernaux

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St., Opera House, El Gezira, Cairo
Tel. : 7352396 Fax : 7358084.

كلمة أولى

بدأت أمي تُبدي فقدانًا جزئيا في الذاكرة ، وتصرفات غريبة على سلوكها ، بعد عامين من حادثة شديدة وقعت لها في الطريق ، فقد صدمتها سيارة تجاوزت الإشارة الحمراء ، لكنها تعافت منها تمامًا .. وطوال عدة شهور ، استطاعت أن تستمر في الحياة بطريقة مستقلة في بيت المسنين حيث احتلت شقة صغيرة في إيڤتو Yvetot ، بنورماندي . في صيف ٨٣ ، في ذروة القيظ، انتابتها وعكة، وتم إدخالها المستشفى . عندها اكتشفنا أنها لم تكن تأكل ولا تشرب منذ عدة أيام . لم تكن ثلاجتها تحتوي سوى على كيس سكر من القوالب ، ومن ذلك الوقت فصاعدًا ، كان من المستحيل أن تقيم وحدها .

قررتُ أن آخذها في بيتي ، في سيرجي Cergy ، أنا على قناعة أنها في هذا الإطار المألوف لديها ، وفي وجود حفيدَي ، إيريك وداڤيد ، اللذين ساعدَتني في تربيتهما ، سوف تختفي اضطراباتها ، وسوف تعود إلى ديناميكيتها واستقلاليتها التي كانت عليها منذ أمد قصير .

لم يحدث شيء من ذلك . استمر تدهور ذاكرتها ، وذكر الطبيب مرض الزهايمر. كفت عن التعرف إلى الأماكن والأشخاص، إلى أولادي، إلى زوجي السابق ، وإليَّ أنا نفسي . تحولت إلى امرأة ضالة ، تقطع

البيت فى كل الاتجاهات ، أو تظل جالسة لساعات على درجات السلم فى الممر . فى فبراير ٨٤ ، وأمام وهنها ورفضها للأكل ، نقلها الطبيب إلى مستشفى بونتواز Pontois . ظلت هناك شهرين ، ثم قاموا بتحويلها لفترة قصيرة ، إلى منشأة خاصة ، قبل أن تدخل من جديد إلى مستشفى بونتواز ، فى قسم المسنين الذى توفيت فيه على أثر انسداد فى صمام القلب فى أبريل ٨٦ ، عن تسعة وسبعين عاماً .

كنتُ قد شرعت - أثناء إقامتها لدىَّ - فى تدوين عباراتها وتصرفاتها التى كانت تملؤنى بالرعب ، على أوراق صغيرة ، وبلا تاريخ لم أكن أستطيع أن أتحمل وقوع أمى فى هذا التدهور . وذات يوم ، حلمت بأننى صرخت فيها قائلة : "توقفى عن جنونك" . وبعد ذلك ، حينما كنت أعود من زيارتها فى مستشفى بونتواز ، كان يتعين علىَّ أن أكتب عنها بكل قوة ، عن كلامها ، عن جسدها الذى أصبح قريبًا إلىَّ أكثر فأكثر . كنت أكتب سريعًا جدا، فى خضم عنف أحاسيسى، دون تفكير ، ودون بحث عن ترتيب .

فى كل مكان ، ودون توقف ، كانت صورة أمى فى ذلك المكان تسيطر علىَّ .

فى نهاية ٨٥ ، بدأت فى كتابة قصة حياتها ، بإحساس من الذنب كنت أشعر بأننى أضع نفسى فى الزمن الذى لن تكون فيه على قيد الحياة . كنت كذلك أعيش فى تمزق بفعل الكتابة التى كنت أتخيلها فيها شابة متجهة نحو العالم ، بينما حاضر زياراتى لها كان يعيدنى إلى التدهور القاسى لحالتها .

عند موت أمى ، مزقت تلك البداية للقصة ، وبدأت واحدة أخرى نُشرت عام ٨٨ ، بعنوان "امرأة" . طوال الفترة التى كتبت فيها ذلك الكتاب ، لم أكن قد قرأت الصفحات التى دونتها أثناء مرض أمى . بدت بالنسبة لى كما لو كانت ممنوعة ، فقد كنت قد دونت كلماتها الأخيرة ، وأيامها الأخيرة ، بل يومها قبل الأخير ، دون أعرف أنها كانت كذلك . وقد كان لعدم وعيى بما سوف يتلو ذلك – والذى تتسم به كل كتابة ، وبالتأكيد كتابتى – مظهر مرعب . فبطريقة ما ، كانت كتابة زياراتى لأمى تقودنى نحو موتها .

لوقت طويل ظننت أننى لن أنشرها أبداً ، ربما كنت أرغب فى أن أترك صورة واحدة لأمى ولعلاقتى بها ، حقيقة واحدة ، تلك التى حاولت أن أقترب منها فى "امرأة" . أعتقد الآن أن التوحيد والتماسك اللذين يصل إليهما عمل ما – مهما كانت الإرادة فى الأخذ بالاعتبار بالمعطيات الأكثر تناقضاً ، من ناحية أخرى – يجب أن يتهددهما الخطر كلما كان ذلك ممكنًا . وبنشر تلك الصفحات على الملأ ، تتحقق فرصة الخطر بالنسبة لى .

إننى أسلمها كما كتبتها بالضبط ، فى الإحساس نفسه بالمفاجأة والانقلاب اللذين كنت لا أزال أشعر بهما . لم أكن أريد أن أعدِّل شيئًا فى تسجيل تلك اللحظات التى ظللت فيها بجانبها ، خارج الزمن – أو ربما فى زمن الطفولة الصغيرة التى عثرت عليها من جديد – خارج كل تفكير ، ما عدا : "هذه أمى" . لم تعد هى المرأة التى عرفتها دومًا

كما لو كانت تعلو حياتى ، ومع ذلك كانت هى أمى أكثر من أى وقت مضى ، تحت جسدها الآدمى ، وبصوتها ، وإيماءاتها ، وضحكها .

لا يمكن فى أية حال ، أن تُقرأ تلك الصفحات بوصفها شهادة موضوعية عن "الرحلة الطويلة" فى منزل المسنين ، ولا بوصفها تشهيراً (فقد كانت الممرضات - بصفة عامة - ذات إخلاص كبير) ، وإنما فقط بقية من ألم .

"لم أخرج من ليلى" هى العبارة الأخيرة التى كتبتها أمى .

كثيراً ما أحلم بها ، كما كانت تماماً قبل مرضها ، إنها حية لكنها كانت قد ماتت . عندما أستيقظ ، ولمدة دقيقة ، أكون على يقين من أنها تعيش بالفعل تحت هذا الشكل المزدوج. ميتة وحية فى آن ، مثل تلك الشخوص فى الأساطير الإغريقية ، التى عبرت مرتين نهر الموتى .

آنى إرنو

مارس ٩٦

١٩٨٣

ديسمبر

ظلت جالسة فى كرسى، فى صالة المعيشة. متصلبة، وجهها ثابت ، مسترخية . فمها ليس مغلقًا لكنه يبدو كما لو كان مغلقًا ، من بعيد .

"لا أملك أن أضع يدى على الأشياء" هكذا كانت تقول (صندوق أدوات التجميل الخاص بها ، سترتها ، كل شىء) .

إنها تريد أن تشاهد التليفزيون على الفور . إنه من المستحيل عليها أن تنتظر حتى أخلى المائدة . الآن لم تعد تفهم شيئًا سوى رغبتها .

فى كل مساء ، نصعد لكى نضعها فى الفراش ، داڤيد وأنا . وفى المنطقة التى يتحول فيها الباركيه إلى موكيت ، ترفع ساقيها عاليًا ، كما لو كانت سوف تخطو فى الماء ، نضحك ، وتضحك هى أيضًا . وسريعًا ، بمجرد أن تدخل فراشها فى سعادة ، وبعد أن تكون قد قلبت كل الأشياء فوق الطاولة الليلية أثناء محاولتها وضع الكريم ، تقول لى : "سوف أنام ، شكرًا يا مدام".

جـاء الطبيب. لم تستطع أن تقول سنها . لقد تذكرت بمهارة بالغة ، أن لها ولدين . قالت : "بنتان" برقة . كانت قد ارتدت حمالتين للصدر ، واحدة فوق الأخرى . تذكرت اليوم الذى اكتشفت فيه أننى كنت أرتدى واحدة دون أن أقول لها ، وتذكرت صرخاتها . كان عمرى أربعة عشر عاماً ، كان ذلك فى يونيو ، ذات صباح كنت بملابسى الداخلية ، وكنت أغتسل .

عاد إلىَّ ألم المعدة . لم أعد غاضبة منها ، أو من فجوات ذاكرتها . لا مبالاة كبيرة .

ذهبنا إلى المركز التجارى . أرادت أن تشترى الحقيبة الأغلى ثمناً من قسم الحقائب، حقيبة من الجلد الأسود. كانت تردد : "أريد الأجمل ، إنها حقيبتى الأخيرة" .

ثم أخذتها إلى ساماريتان Samaritaine . ثوب وصديرية هذه المرة. إنها تسير ببطء ويجب علىَّ أن أقودها . تضحك بلا سبب . البائعات ينظرن إلينا نظرات غريبة ، يبدون منزعجات . أما أنا فلست منزعجة ، أومئ لهن بتكبر .

لقد سألتْ فيليب بقلق : "من أنت بالنسبة لابنتى" ؟ فقهقه قائلاً : "زوجها !" . ضحكت .

١٩٨٤

يناير

دائمًا تخلط بين غرفتها ومكتبى. تفتح باب المكتب ، وتلحظ خطأها ، تعيد غلق الباب بهدوء ، فأرى المقبض وهو يرتفع كما لو لم يكن هناك أحد وراء الباب . نوع من الرهبة . فى خلال ساعة سوف يبدأ ذلك كله من جديد . إنها لم تعد تعرف مطلقًا أين هى !

فى تلك الليلة ، فكرت فى سراويلها الداخلية المليئة بالدم التى كانت تدفسها تحت كومة الغسيل فى حجرة الكرار حتى يوم الغسيل . كان عمرى وقتها حوالى سبع سنوات ، كنت أنظر لتلك الملابس ، وأنا مفتونة ، والآن ها هى ممتلئة بالخراء .

هذا المساء كنت أصحح الكراسات . ارتفع صوتها هادئًا ، مثلما فى المسرح ، فى حجرة المعيشة الجانبية . كانت تكلم طفلاً غير موجود : "الوقت متأخر يا صغيرتى ، يجب أن تعودى إلى البيت . كانت تضحك وكلها بهجة . وضعت يدَىَّ على أذنىَّ ، وبدا لى أننى أغرق فى شىء لا إنسانى . أنا لست فى المسرح "إنها أمى التى تكلم نفسها" .

عثرت على رسالة كانت قد بدأتها : "عزيزتى بوليت ، لم أخرج من ليلى" . الآن لم يعد بإمكانها أن تكتب . تبدو تلك كما لو كانت كلمات امرأة أخرى . كان ذلك منذ شهر .

فبراير

إلى المائدة تتحدث كما لو كانت موظفة فى شركة ، كما لو كان أبنائى وكلاء وأنا المديرة . إنها لا تريد أى شىء أكثر من الحلويات الصغيرة السويسرية والمسكرات .

تناولت إيزابيل (ابنة أخى) الغذاء لدينا يوم الأحد ، وقهقهت على كل عبارات أمى الشاذة . نحن وحدنا نملك الحق فى الضحك على الأشياء المجنونة التى تقوم بها أمى . نحن الأبناء ، أنا لا هى .. وليس الناس الخارجيون . قال إيريك وديڤيد : "إنها مبالغة ، جدتنا !" كما لو كانت – فى جنونها – ما تزال فريدة .

استيقظت هذا الصباح ، وبصوت خافت قالت : "لقد تبولت فى الفراش ، فَلَت منى" .. الكلمات نفسها التى كنت أقولها عندما كان يحدث لى ذلك فى طفولتى .

يوم السبت تقيأت قهوتها . كانت نائمة جامدة . كانت عيناها قد ضاقتا ، كانتا محاطتين بالاحمرار . خلعت عنها ملابسها لكى أغيرها .

جسدها أبيض وطرى . فيما بعد بكيت . ذلك بسبب الزمن ، بسبب الماضى .. كما أنه أيضاً جسدى ، ذلك الذى أراه .

أخشى أن تموت . أفضلها مجنونة .

الإثنين ٢٥

انتظرنا ساعتين فى قسم الطوارئ ، أمى راقدة فوق نقالة ، تبولت. أراد صبى أن ينتحر بتناول المهدئات . دخلنا غرفة الاستشارات ، كانت أمى مستلقية على الطاولة . رفع الطبيب المناوب قميصها حتى البطن . ومرة واحدة ، بدوت كما لو كنت أنا المستلقية ، المعروضة هكذا .

فكرت فى القطة الصغيرة التى ماتت عندما كان عمرى خمسة عشر عاماً ، كانت قد تبولت على وسادتى قبل أن تموت . فكرت فى الدم ، وفى السوائل التى فقدتها فى الإجهاض منذ عشرين عاماً .

مارس

الخميس ١٥

فى ممر المستشفى - لا ، بل فى منزل المسنين بالمستشفى ، الطابق الأول - سمعت : "آنى !" إنها هى التى تنادينى ، فقد غيروا غرفتها . كيف تعرفت على ظلى ؟ إنها لم تعد تبصر ، أو فإنها تبصر

بصعوبة شديدة (بسبب الكاتاراكت) . عندما أدخل إلى الغرفة تقول : "لقد نجوت . بلا شك إن ذلك يعنى "لأنك هنا" . تحكى لى كل أنواع الأحداث بتفاصيل دقيقة : الأعمال التى يجبرونهم على القيام بها دون أن يدفعوا لهم أجراً عنها ، دون أن يسمحوا لهم بالشرب . خرافات فياضة . لكنها تتعرف علىَّ دومًا الآن ، على عكس الوقت الذى كانت تعيش فيه لدىَّ .

السبت ١٧

تستقبلنى بطريقة سيئة جدا . تقول مقطبة : "زياراتك لا تسعدنى ! كيف تتصرفين على هذا النحو ، ألا تخجلين ؟" أقف فى دهشة بلا اسم ، فقد قضيت الليلة لتوى مع آن نمارس الحب . كيف "عرفت ؟" يبزغ اعتقادى الطفولى القديم بأن عينها قادرة على رؤية كل شىء ، مثل الله ، فى قبر كين .. تضيف : "ليس هذا ممكنًا ، لقد أعطوك مخدراً ، وفيما بعد : "أقول لنفسى إن العالم قد أصبح مجنونًا . أضحك وقد ارتحت جزئيا . لن تقترب منى امرأة أبداً أكثر من ذلك ، إلى درجة كما لو كانت بداخلى .

الأحد ١٨

كانت الساعة السابعة مساء ، كانت قد نامت . أيقظتها . تعتقد أن جارتها فى الفراش ولد صغير أغرق نفسه للتو فى الحوض : "كان

العساكر يجلسون فى المقدمة على دكة خشبية . لم يفعلوا شيئًا لإنقاذه". وفجأة تقول لى : "إذن ، فالزفاف بعد خمسة عشر يومًا " . (بيد أننى فى الغد سوف أقابل المحامية لطلب الطلاق) .

الثلاثاء ٢٨

يداها مشوهتان . السبابة بارزة منذ المفصل ، تشبه مخلب الطير ، تعقد أصابعها ، تحكهم . لا أستطيع أن أنزع عينى عن يديها . دون كلمة تتركنى لكى تذهب وتتناول العشاء . فى اللحظة التى تدخل فيها حجرة الطعام أصير "هى" . الألم هائل لرؤية حياتها تنتهى على هذا النحو .

إبريل

الأربعاء ٤

جلست فى كرسيها ، وجلست هى على مقعد ، انطباع رهيب بالازدواج ، أنا هى وأنا فى آن . لقد وضعت خبزًا فى جيبها . إنه الخوف القديم من الاحتياج ، من الجوع (فى الماضى كانت قطع من السكر فى الجيب دومًا ، أو فى حقيبة اليد) . إنها تشكو عدم القدرة على التواصل مع أحد . إن الرجال لا يفكرون سوى فى الجرى وراء النساء . تلك وساوس حياتها .

الأحد ٨

يوم الجمعة مررت على Apostrophes .

اليـوم كـانت فى حـجـرة أخـرى ، مـع اثنتين طريحـتى الفـراش ، بكمـاوين . قـاموا بربطها فى كرسـيـها . كـانت تعـانى من ألم حـاد فى عينيها ، وكانت تضع لعابها باستمرار على جفنيها . حكت لى أنه قد حدث منع تجول ليلاً لكنهم "تركوا لنا الحياة ، وهذا هو المهم" . فككتها لكى أجعلها تتمشى فى الممر ، وتعرض عينيها على الممرضة . هذا هو الرعب : أن أراها عارية من الخلف ، عندما أرفعها مع ذلك الرباط الذى ينفتح تماماً من الظهر .

فى الممـر رأيت - من خـلال الباب الموارب لإحدى الغـرف - امـرأة رافعة ساقيها فى الهواء . إلى جوارها كانت امرأة ترتعش كما لو كانت فى لذة جنسيـة بالضبط . كـان كل شىء يهلوس فى ذلك المسـاء ، وكـان يسطع كالشمس الحارقة .

السبت ١٤

إنها تأكل فطيرة الفراولة التى أحضـرتها لـها ، وتلتقط الفاكهة من وسط الكريمة . هنا لا أحد يمنحنى اعتيادى . إنهم يجبروننى على العمل كـزنجـيـة ، ولا نـحصل على غذاء كافٍ . هـواجسـهـا ، ذلك الخـوف من الفقراء الذى نسيته .

فى مواجهتنا امرأة ناحلة ، شبح بوشنڤالد ، جالسة مستقيمة للغاية ، بعينين رهيبتين ترفع قميصها ، فنرى الغطاء الملتصق بعضوها . المناظر نفسها بالتلفاز تثير الفزع . لكن ليس هنا . ليس هذا هو الفزع . إنما هم نساء .

أحد الفصح

عندما أصل تكون هى راقدة . أحلق لها . المرأتان الأخريان فى الحجرة لا تتحدثان . رائحة بول ، رائحة خراء . الجو حار جدا . أسمع صراخًا فى الحجرة المجاورة . إنها الرفيقة القديمة لأمى بالمستشفى ، السيدة بلاسيبه . أن تقول : إنه عيد الفصح ! فذلك يعنى أن السيارات تتسارع على الطريق للعودة من يوم أحد جميل . جارة أمى مستلقية ، يدها على عضوها . إنه شىء أبعد من الحزن .

الخميس ٢٦

مشهد صعب . إنها تعتقد أننى جئت لأخذها ، وأنها سوف ترحل من هنا . خيبتها هائلة ، لا يمكنها أن تبتلع أى شىء كان . لوم بشع . وأحيانًا – بالرغم من ذلك – سكينة . إنها أمى ، ولم تعد هى أمى .

قال زوك : "يجب أن يموت الناس حتى يتأكدوا أنهم لم يعودوا معتمدين على أحد".

الأحد ٢٩

أحلِق لها وأقص أظافر يديها . كانت يداها متسختين . بصفاء ذهن تقول : "سوف أبقى هنا إلى أن أموت " . و "لقد فعلت كل شيء حتى تكوني سعيدة ، ولم تسعدى ، تحديداً بسبب ذلك" .

مايو

الثلاثاء ٨

كانت أمى نائمة ، صغيرة جدا ، رأسها مقلوب مثلما كنت أفعل فى طفولتى بعد ظهيرة أيام الآحاد (هل كنت أكره ذلك ؟) ، ساقاها مرفوعتان فى الهواء (مثلما فى طفولتى) . كانت ترتدى حفاضة ، وفى خجل : "لقد وضعت هذا لكى لا أوسِّخ الفراش" . وغضبها كذلك من الفضائل المسيحية التى كانت توقرها " أيعمل المرء طيلة حياته ، ثم ينتهى هكذا ؟ ! " نظرتها حاجبة ، مجنونة . ملامحها هى ملامحى ، أنفها ، وشفتاها المرسومتان بانتظام .

فكرت فى الثامن من مايو عام ١٩٥٨ ، منذ ستة وعشرين عامًا . كنت قد ذهبت إلى المدينة تحت المطر المتواصل، لكى أنتظر «جى د». لم أكن قد رأيته من قبل . كانت معى مظلة حمراء ، ومعطف مطر .

عندما أخذتُ المصعد كانت هى فى مواجهتى . أُغلِقت الأبواب وكانت هى ما تزال تتحدث . لحظة لا تُطاق .

الأحد ١٣

هنا فى أوس[١] الأمر أسوأ من بونتواز . تلومنى الحارسة قائلة : "لقد بالت على نفسها ، بولها فى كل أنحاء الغرفة" .

ساديتى تفزعنى . لقد أجبرت أمى على أن ترتدى المشد وجواربها الطوال . إنها لا تعرف كيف تربط المشد . ساقاها نحيلتان ، لقد وضعوا لها سروالاً بقفل ، " أشبه بمركب صغير " . إنها تطيعنى بخوف . ذلك المشهد يطاردنى ، أرى أمى بنظرتها المجنونة ، لدى رغبة هائلة فى البكاء الذى لا يمكنه أن ينفجر (سوى عند موتها) . تعيدنى ساديتى اليوم إلى سادية طفولتى التى مارستها مع بنات أخريات . ربما أسميها سادية لأنها كانت ترعبنى .

الخميس ١٧

ذهبت لأحضرها من أوس . لقد قُبلت أخيرًا فى قسم المسنين ببونتواز. ربما أنها تتجول للمرة الأخيرة بالسيارة ، لكنها لا تعرف ذلك . عندما نصل إلى ساحة المستشفى يتغير وجهها . أفهم أنها كانت تعتقد أنها سوف تعود إلى بيتى . غرفتها الآن فى الطابق الثالث . دائرة من النساء تحيطنا ، إنهن يتقربن إلى أمى . هل ستكونين معنا ؟

(١) قرية بڤال دواز Val-d'ooise ، يقع فيها منزل خاص للمسنين .

كما لو كن بنات صغيرات مع تلميذة "مستجدة" بالمدرسة . عندما أرحل تنظر إلىَّ كالضائعة المذعورة : هل تذهبين؟ .

كل شيء مقلوب، الآن إنها هي ابنتي الصغيرة. لكنني لا "أستطيع" أن أكون أمها .

الجمعة ١٨

كانت تنام في ملابسها الداخلية . شرايينها الزرقاء تظهر على صدرها ، وجلد إبطيها مدعوك مثل أسفل عش الغراب . أيقظها برقة . ثم لا تكف عن مضايقة جارتها في الفراش ، امرأة ضخمة ساكنة . يأتي المرض ، يكلمنا ، هو شاب صغير وذو لحية . بعد رحيله تستدير أمي ناحية جارتها بغيرة وتقول : "إذن فأنت سعيدة ، لقد رأيته ، طبيبك الصغير !" الرجل – وهذا حسن – مازال في الرأس ، وسوف يظل . إنها امرأة الواجب التي تطاردها الرغبات دون شك .

الثلاثاء ٢٢

"حلمت بڤيكتور هوجو ، كان قد جاء في زيارة إلى القرية . وتوقف لكي يكلمني " . تضحك وهي تتذكر حلمها . هي التي اختارها الشاعر الكبير .. انتخبها ، هي بالطبع .

وجهها ينتفخ ، يتغير. لقد أحضرت لها خمر التفاح الذي ترغبه. لقد جاءوا يقولون لي بخشوع إن كل مشروب يحتوي على الكحول ممنوع.

الجمعة ٢٥

فقدت نظارتها الجديدة ، كالتي قبلها . سألتها أين وضعتها ؟ فنامت . ألمسها مثل الطفل لأول مرة أثناء نومها . بالخارج شهر مايو ، ندى مايو الذى كانت تستقبله على قفاز التجميل وتحك لى وجهى به حتى يحلو لون بشرتي . في التجمع الكنسى الأول الذى حضرته فى مايو كانت تجمع التبرعات فى تايير أسود مع قبعة وحذاء بكعب عالٍ ورباط ، امرأة جميلة" كان عمرها خمسة وأربعين عاماً . الآن عمرى يقل عن ذلك بعام . كانت تنام وعيناها مفتوحتان ، ساقاها بيضاوان جدا ، مكشوفتان ، عضوها مرئى . أبكي . فى الجوار العجوز تعيد ترتيب فراشها بطريقة لا نهائية ، تطوى الغطاء ، تفكه . نساء .

يونيو

الأحد ٣

إنها فى غرفة الطعام فى مواجهة امرأة أخرى ، تنظر إليها بابتسامة شنيعة ، مزيج من الفضول والسادية (أين ومتى رأيت تلك الابتسامة على وجهها؟) عينا المرأة مغرورقتان بالدموع ، كما لو كانت أمى قد نومتها مغناطيسيا بفعل فضولها الشاذ . كل النساء مجنونات اليوم . تلك التى تشارك أمى حجرتها الآن كانت تصرخ: "خبز بالزبد

لو سـمـحـتم !" بـلا توقف . وأخرى كـانت تتكلم وحـدها فى المر . هـياج هائل ، غامض .

الخميس ٧

"أن أنهى أيامى هنا" فى كل مرة. غيرة مازالت حية تجاه حماتى ، "لو كـانت أم ريمون (تود بلا شك أن تقـول إن فـيليب ، زوجى) لكانوا أفسحوا لها مكانًا صغيرًا" . المرأة العجوز التى تشارك أمى غرفتها تفـزعنى . بمجـرد أن ظهرت على العـتبـة صـرخت "أريد أن أذهب إلى الحمام" أخذتها إلى هناك. بمجرد خروجها صرخت أعلى، وحفاضتها فى يدها ، وطلبت منى أن ألبسها سروالها الداخلى مرة أخرى ، وفعلت. يجب أن أمسح لها أيضًا . أمى تنتظر وتقول : "إنها فظيعة . لقد ولدت ثلاثة أطفال حتى الآن" .

الجمعة ١٥

عند وصـولى كـانت جـالسـة بالقـرب من المصـعـد ، تائهـة . كـانت تتحدث بصوت خافت إلى درجة أننى سمعتها بالكاد . فى المر المؤدى لغـرفـتـهـا كـانت تمشى نصف مـحنية . كـانت تقطع الحلوى إلى قطع صـغـيرة دون أن تأكلها ، أرغب فى البكاء وأنا أرى طلبها للحب الموجه نحوى ، والذى لن يُشبَع أبدًا (لقد أحببتها كثيرًا فى طفولتى) . أفكر فى طلبى أنا للحب من «أ» الآن ، بينما هو يهرب منى .

عندما أركب المصعد مرة ثانية ألحظ وجهها بين البابين اللذين يغلقان بقسوة ، واللذين يبدوان كما لو كانا يحدقانها بصفعتهما .

تكرار تلك الزيارات المتطابقة دومًا : نحن جالستان ، الواحدة فى مواجهة الأخرى ، بعض العبارات العادية بدرجة أو بأخرى ، أعرف النساء الأخريات . واحدة تزرع الممر بلا توقف بخطوة سريعة مستقيمة جدا ، شابة بالقدر الكافى . إنها تشبه الساعة العملاقة فى "الطفل والأسحار" لرافيل . اليوم رأيت أن لها زوجًا ، المرأة الستينية ، فى زىٍّ أزرق ، وبعينين حمراوين .

ممرضة تصرخ فى الهاتف : "هل هناك أحد على وشك الموت؟" .

السبت ٢٣

فى قاعة البدروم هناك دائمًا رجل عجوز يرتدى بيجامة ، يحاول الاتصال هاتفيا . فى اليوم السابق أرانى رقمًا على ورقة . طلبت الرقم له ، لم يكن صحيحًا . طوال النهار يريد الاتصال بأحد ما ، ربما واحد من أولاده ، أو هيئة ما آملاً كل نهار .

العجوز النحيلة التى إلى جوار أمى كان يسيل من جلدها المخيط، تحت قميصها . أمى تائهة لم تكن ترى شيئًا . أصبحت مغلقة على الأخريات . تفقد كل حاجياتها الشخصية ، لكنها لم تعد تبحث عنها . لقد فقدت الأمل . أتذكر مجهودها البائس . عندما كانت عندى

لكى تعثر على حقيبة التجميل الخاصة بها ، كأنها مازالت تملك سلطة على العالم من خلال الأشياء . تلك اللامبالاة الحالية تعصر قلبى . لم يعد لديها شىء . اختفت ساعتها ، وعطرها . ماذا تأكل الآن ؟

أصبحت أقابل الزوار أنفسهم بدرجة أقل .

يوليو

الخميس ١٢

العودة من إسبانيا . نهضت فجأة من على المائدة عندما رأتنى على باب غرفة الطعام . (فى الماضى ، فى بهو المدرسة الداخلية كنت أهب واقفة عندما أراها فى أعلى درجات السلم، السعادة نفسها) قالت بقوة شديدة : "أقدم لكم ابنتى !" بكبرياء . قال النساء حولها : "إنها جميلة !" أشعر بمقدار سعادتها . تنزل إلى الحديقة ، تجلس على الدكة الخشبية . فكرت فى زيارة كنت قد قمت بها معها - عندما كان عمرى عشرة أعوام - لعمى الذى كان قد أجرى عملية البروستاتا . كان ذلك فى أوتيل ديڤ روان . كانت الشمس ساطعة ، ورجال ونساء بالأرواب المنزلية البرقوقية اللون يتجولون . كنت سعيدة جدا وحزينة جدا لأن أمى هناك ، قوية وحامية ضد المرض والموت .

أخذنا المصعد مرة أخرى . فى المرآة التى فى الخلفية كنت أراها وهى محنية تماماً . ما كان يهم هو أنها مازالت حية إلى جانبى .

الخميس ٢٦

فكرت أنها لم تقم أبدًا بأى تعبير عن اللطف ، أو الحب ناحية جسدها. لم تلمس وجهها أبداً، شعرها، ذراعيها... مثلى، ولم تنزلق يدها تحت فتحة بلوزتها. إنه جسد التعب. كانت تنهار على مقعد فى المساء .

امرأة عنيفة ذات مرجعية واحدة لتفسير العالم ، مرجعية الدين .

أتساءل عما إذا كنت أستطيع أن أكتب كتابًا عنها ، مثل "المكان" La place . لم تكن هناك مسافة واقعية بيننا . كان هناك توحد .

أغسطس

السبت ١١

إشباع عميق هو إحساسى بذهابى لرؤية أمى اليوم كما لو كنت على وشك الإمساك بحقيقة تخصنى . الحقيقة الصارخة : إنها هى شيخوختى ، وأشعر بداخلى بتهديد تدهور جسدها ، تجاعيدها على الساقين ، عنقها المدعوك الذى كشفت عنه قصَّة الشعر الجديدة . إنها تعيش من جديد مخاوفها دومًا لم يغادرها الشعور بالاغتراب أبدًا : "الرئيسة قاسية ، أجورنا ضعيفة بالمقارنة بحجم العمل الذى نقوم به" ... إلى آخره .

تأكل ما أحضرته لها بضوضاء .

طعـام ، بول ، خـراء ، إنه هذا الخليط من الروائح الذى يصـدم بمجرد الخروج من المصعد . غالبًا ما تكون النساء فى ثنائيات ، الواحدة تسيطر على الأخرى . هكذا هناك امرأة ضخمة جدا مستقيمـة ، تجـبر الأخرى ، الصغيرة المحنية التى تسحب جواربها على السير فى الممر ، فى اتجـاهٰ ، ثم فى اتجاه آخر . إنه قفص . أمى وحيدة .

عندما أركب المصعد أنظر إلى نفسى فى المرآة لكى أطمئن .

الإثنين ٢٠

آتى لأراها ، مـازالـت شابة . لدىَّ قصص حـب . خـلال عشــرة أعــوام أو خـمـسـة عشـر سـوف آتى أيضًـا إلى هنا ، وسـوف أكون عجوزا بدورى .

كانت تبحث اليوم عما يمكنها أن تشتريه : أشياء ، ملابس . لكنها لم تعد تستطيع الاحتـفـاظ بـأى "شىء" لنفسـهـا . هيـئـتـهـا هى زى المستشفى ، الأسهل فى الغسيل عندما يتسخ . لقد فقدت كل الملابس التى أحضرتها عند وصولها، ونظارتها التى كانت تعتنى بها جدا عندما كانت عندى منذ ستة شهـور . هنا ما يُفقَد لا يمكن العثـور عليـه أبدًا . لا مبالاة . على أية حال فسوف يموتون . حكيمة الممرضات ذات الشعر الأسود المغطى ، الضخمة المتكبرة .

مرت المرأة – الساعة أمام رجل عجوز . أخذت يده ، وضعتها على فمها ، ثم عبرت . اثنتان أخريان تمسك إحداهما بيد الأخرى ، وتسيران في الممر ، ألقتا عليّ السلام مرتين ، وهما متوقفتان أمامي : "صباح الخير يا مدام!" كما لو كانتا قد نسيتا أنهما قد سلمتا عليّ للتو، أو كما لو كانتا لم تتعرفا عليّ .

الجمعة ٢٤

أفكر في أن أعطي ملابس أمي التي تبقت لديّ ، إلى النجدة الكاثوليكية ، أو أن أبيعها في سوق الملابس المستعملة ببونتواز . ذنب . صندوق الحياكة الخاص بها وصندوق أزرارها ، وزهر النرد ، هي كل ما سوف أحتفظ به منها .

أتفادى في أثناء الكتابة أن أترك نفسي تنجرف مع المشاعر .

الأربعاء ٢٩

لاحظتُ أنني ما بين الزيارتين أنساها . قالت : "أمل أن يتمكن من الدخول في الماء .

– ماذا يا أمي ؟

– السمك الذي آمل أن أحصل عليه يومًا .

ثم في لحظة أخرى : " أخشى ألا يمكن تغييره" . كانت يداها باردتين جدا وجسدها أيضا . وتلك النظرة الخاصة بالمغتربين .

سبتمبر

الإثنين ٣

أعدت قراءة "الدواليب الفارغة" Les armoives vides ، لكى يُطبع الكتاب فى سلسلة فوليو Folio . فى النهاية هناك صورتها عندما كان عمرى خمس سنوات ، كنت أسميها ڤانى Vanné .

الأربعاء ٥

فى الداخل حـرارة مماثلة ، صيف مثل شتاء . اختفى الزمـن . كل النسـاء يرتدين المريلة ذات الورد ، والتحـزيزات ، وقد تحولن إلى خادمات . واحدة منهن ضخمة وقوية بجبهة رائعة ووشاح تشبه فرنسواز عند بروست .

أمى : "ألا تملين كثيراً فى بيتك ؟" عندما تتكلم عنى ، فإن الأمر يتعلق بها هى . لابد أنها قد ملت بالفعل ، أو أن تلك الكلمة لم يعد لها معنى بالنسبة لها؟ ماذا تذكر من حياتها الآن ؟ ما حياتها بالنسبة لها ؟

الثلاثاء ١١

حلمت بها ، تبولت فى سروالها الداخلى . فى الواقع كانت المرة الأولى التى تفعل فيها ذلك تمثل لى انقلاباً رهيباً ..

يجب أن أحلِق لها فى كل زيارة. فى عيد Huma كنت إلى جوار امرأة من الجنس الثالث ، جلدها يميـل إلى الزرقة . تقارب لا واعٍ مع أمى .

لم تفهم اليوم أى سؤال . "هل تنامين جيداً ؟"

– نعم ، نعم ، إنه نظيف . كانت تحكى بالتفصيل كل ما فعلته منذ الصباح ، المشتروات فى المحال ، كان هناك زحام شديد .. إلى آخره . كما لو كانت تعيـش حياة عادية . تلك قـوة الخيال من أجل التعويض . ثم العبارة المُثلى : "لن أخرج من هذا الماخور ، هنا قبل وقت طويل" .

الإثنين ١٧

بينما أحلق وجهها البارد ، رغم أنه حى ، وأرى نظرتها المطفأة ، كنت أقول لنفسى : "أين هما عينا طفولتى ، العينان اللتان كانتا منذ ثلاثين عاماً رهيبتين ، تلك العينان هما اللتان صنعانى .

عندما دخلت حجرة الطعام كانت تمسح المائدة بيدها دون توقف.

بمريلتـها ذات الورود ، كانت تشبه الآن لوسى ، المرأة التى كانت تأتى لتغسل عندنا ، فى ليلبون ، ولم يكن فى فمها أسنان . وأمى أيضاً ليست لديها أسنان ، لقد ضاع طقم أسنانها الصناعية .

فى صندوق البريد هـذا الأسبوع كان هناك خطاب لأمى . فرنسا المليون France Million ، أخبار الحظ . وإلى جانب صورة لآن ـ مارى بيسون المبتسمة تماماً كان مكتوباً : "هـل سوف تقدم

اَن - مارى بيسون الشيك البالغ قيمته ٢٥ قرشًا إلى السيدة بلانش دوشان؟" وفى أسفل كان هناك فاكس بالشيك، باسم أمى ، وذلك "الفريد من نوعه فى العالم، البورتريه الإلكترونى للسيدة بلانش دوشازن". بورتريه يتجسم عندما تنظر إليه على بُعد "متر" ، كان يمكن تمييز حدود وجه شاب ذى شفاه ممتلئة . تكرر اسم أمى مائة مرة ليأكدوا أنها قد أختيرت وأنها سوف تربح إذا أجابت قبل الخامس من أكتوبر . أقدار . يجب أن أقبض على اَن - مارى بيسون من جلد عنقها ، وأسحبها إلى "إقامة طويلة" فى مستشفى بونتواز .

الأحد ٢٣

فى القطار منذ بضعة أيام كانت هناك راهبة ، ذات عينين لامعتين ، بارزتين ، تصلح العالم . كان وجه محاكم التفتيش . فكرت فى ضيق ، فى أمى ..

قالت لى الممرضة إنها تتحدث عنى دومًا ، عنى فقط . ذنب . ألاحظ أيضًا أنها كثيرًا ما تعتبر نفسها أنا .

لقد وُلدتُ لأن أختى ماتت، لقد أحللت محلها. ليس لدىَّ أنا ذنب إذن .

السبت ٢٩

عندما وصلت إلى غرفة الطعام، كان الناس كلهم يشاهدون التلفاز. "هى وحدها" أدارت رأسها . إنها تنتظرنى دائمًا .

أسوأ ما في الأمر ، هو ما لا يمكن التنبؤ به . فتحت درج طاولتها الليلية للتأكد مما إذا كان هناك بسكويت قد تبقى لها . خيل إلىّ أننى قد رأيت قطعة جاتوه . أخذتها . كانت قطعة من الفضلات . أغلقت الدرج فى تشويش شديد القسوة . ثم فكرت أننى إذا تركت تلك الفضلات فى الدرج ، فسوف يعثرون عليها ، وأننى بلا وعى يجب أن أتمنى أن يعثروا عليها لكى يدركوا مدى انحطاط أمى ، أخذت ورقة وذهبت لكى أضعها فى الحمام . عادت إلىّ حلقة من طفولتى ، كنتُ أخفيت فضلاتى فى بوفيه الحجرة كسلاً منى عن النزول إلى حمامات الفناء .

إنها لا تقول اليوم سوى أشياء مجنونة : "لقد قاموا بتغيير حرفى الألف والواو فى الكلمات" . "مارى لويز تأتى كثيراً لترانى" مارى ـ لويز ابنتها ماتت منذ عشرين عاماً .

أكتوبر

الأحد ٧

من ذلك الوقت فصاعداً آتى لرؤيتها يوم الأحد . فى التلفاز . هناك "مدرسة المعجبين" Lécole des Fans لچاك مارتن. أطفال يغنون . العجائز يتفرجون . عندما دخلت مع أمى إلى حجرتها خنقتنى رائحة خراء لا تطاق . جلسنا الواحدة فى مواجهة الأخرى . المرأة الأخرى

كانت تنبح كعادتها ، "قطعة جاتوه أرجوك" . لا أحد يأتى ليراها . عند اقترابى منها لاحظت كومة هائلة من الخراء بالقرب من كرسيها . المرأة التى تخدم حين ناديتها ، تؤكد لى أن العجوز - التى تضع حفاضاتها - لم تفعل ذلك ، ولا أمى فعلته . يبدو أن رجلاً عجوزًا يدخل أية حجرة ، ويتخلص أرضًا .

هذه المرة أيضًا أحاول أن أدخل المصعد ، أو أن أحركه قبل أن تصل هى إلىَّ وتغلق الأبواب على وجهها . ذلك الألم هو نفسه طوال الوقت . ومع ذلك ففى محل الحلوانى بالقرية ، فى ذلك الصباح صفعت امرأة بنتًا صغيرة ، صفعة مترددة. الطفلة المُهانة ذات الكبرياء لم تبكِ. وجه الأم مغلق ، قاس . ذلك المشهد يقلبنى، يذكرنى بأمى وهى تصفعنى لكى أقول نعم أو لا .

الجمعة ١٢

أتذكر الوقت الذى قضته أمى عندى ، من سبتمبر إلى نوفمبر ، أتذكر قسوتى غير الواعية ، ورفضى المطلق لأن تصبح تلك المرأة التى بلا ذاكرة، المرعوبة المتعلقة بى كما لو كانت طفلة. وبالرغم من ذلك فقد كان وقتًا أقل بشاعة من الآن . كانت لديها رغبات عدوانية.

لأول مرة أقدم حياتها بوضوح هنا ، خارج زياراتى، ووجبات حجرة الطعام ، والانتظار ، أعد أطنانًا من الذنب من أجل المستقبل

لكن الاحتفاظ بها معى كان يعنى التوقف عن الحياة. إما هى ، وإما أنا. أتذكر آخر عبارة كتبتها "لم أخرج من ليلى" .

نفور ماض وضع الأشياء التى تركتها كعلامة القراءة لكتبها ، ورغبة فى الاحتفاظ بها ، مثلما فى متحف .

باستمرار أقارن لون البشرة ، وسيقان النساء الأخريات بسيقان أمى لأعرف ما موقعها منهن"

الجمعة ١٩

ذكرى المشد الذى كانت ترتديه كان يسجن النصف الأسفل من جسدها ، من أسفل الصدر إلى وسط المؤخرة . كنت ألحظ المفرق من بين الأربطة المتقاطعة .

الخميس ٢٥

قرأت "دليل المعرفين" ، كتاب قديم أعطانى إياه «أ» "ذكرى نظرة أمى عندما كنت طفلة " ، هى المعرف .

الأحد ٢٨

"آكوليت" ، كلمة كانت تحب أن تستخدمها عند حديثها عن رفقاء سكرات بعض العملاء . كانت تريد أن تظهر أنها تعرف كلمات صعبة . إنها امرأة لم تتحمل أبدًا أن تُهان .

صور منى ، وأنا فى السادسة عشرة : الصبيان ، الأمل فى الحب المجنون المتواصل. ثم هى "حارسة المجنونة": "إنك صغيرة السن للغاية ! مازال أمامك وقت طويل ! " . ليس هناك وقت أبدًا .

الكتابة عن أمك تطرح بالضرورة مشكلة الكتابة .

الإثنين ٢٩

إنها مازالت أكثر انكماشًا وضياعًا . لم يلبسوها إلا مريلتها المفتوحة من الخلف ، الكاشفة عن ظهرها ، وردفيها ، وسروالها الداخلى من النسيج المشبَّك . الشمس ساطعة بروعة من خلال زجاج النافذة المزدوج. أفكر فى غرفتى فى المدينة الجامعية ، منذ عشرين عامًا . الآن ، أنا هنا معها . لا يستطيع المرء أن يتخيل أى شىء .

أراد العجوز من الصغيرة أن تذهب إلى الكلاب الصغيرة ، على ساقيها الصغيرتين ، الملتويتين ، نابحة دومًا . ظلت هناك طويلاً ، بينما كنتُ أنا إلى جوار أمى . تذكرت أزمة التهاب الأمعاء التى مررتُ بها عندما كنت فى السنة الثانية ، كنت ألتوى حول بطنى الذى يؤلمنى . كان ذلك فى شهر فبراير ، وسط الشمس الساطعة والبرد .

الأربعاء ٣١

أفكر كثيرًا فيها فى هذه اللحظة ، لأن عامًا قد مر على "حدوث الأشياء" ، أى على بداية تدهورها الحقيقى .

لقد حلمت ببيت سيرچى هذا ، وقد تحول إلى مكان عام ، (مأهول جدا) . عبرت إحدى الخادمات الحديثة ، وحدها (قرين لأمى؟) . ثم ظهرت أمى ، وقلت لها : "توقفى عن جنونك !"

ذكرى : ابن عم أمى ، يربى خنازير بالقرب من روان . كانت تقول ضاحكة : "سوف أجلدك تحت القميص !" .

نوفمبر

الأحد ٤

العجوز الصغيرة فى حجرة أمى ، تشرع فى التبول ، واقفة خلف فراشها فى اللحظة التى أصل فيها ، ثم تبكى قائلة : "لقد تبولت" فى حجرة الطعام امرأة تغنى باستمرار عن كل ما تفعله، بضمير الغائب : "إنها ترتب الغسيل لا لا لا " . كل ذلك اللحم الأبيض .

السبت ٢٤

أريد أن أقتل العجوز الصغيرة فى حجرة أمى ، دائمًا تصرخ بطريقة جادة . اشتريت جوارب لأمى ، وأنا أشرح للبائع أننى بحاجة لعدة أزواج لكى أجربها . أمه أيضًا مصابة بمرض الزهايمر . إنه يتحدث عن ذلك بصوت خافت ، إنه خجلان . كل العالم خجلان .

حلقتُ لها ، قصصتُ أظافرها . جربنا الجوارب ، كانت مرعوبة كما لو كانت تخشى أننى سوف أعنفها لأنها لا تفهم كلامى "ضعى قدمك ، إلى آخره" .

بهذه الطريقة ، ومن خلال مرض أمى ، ثم لقاء «أ» ، استعدت علاقتى بالبشرية ، باللحم ، بالألم .

صورة ملحة : نافذة كبيرة مفتوحة ، امرأة – أنا مزدوجة – تنظر إلى الطبيعة ، منظر مشمس لشهر أبريل الذى يعنى الطفولة . إنها أمام نافذة مفتوحة على الطفولة . تجعلنى تلك الرؤية دائمًا أفكر فى لوحة لدوروثيا تاننج ، عيد الميلاد . نرى امرأة ذات صدر عارٍ ، وخلفها الأبواب مفتوحة إلى مالا نهاية .

ديسمبر

الأحد ٢

لأمى ظل أسود على وجهها . إنه ظل – أتذكر الآن – العجائز الذين كنا نذهب أمامهم مع المدرسة الداخلية ، لكى نصيح بالأناشيد ، قبل عيد ميلاد المسيح ببضعة أيام . ترفض أن تجلس وأن تنهار بين ذراعى .

كثيرًا ما تتحدث عن الموتى كما لو كانوا على قيد الحياة ، لكنها لا تتحدث أبدًا عن أبى .

الأحد ٩

هناك ساعات ببندول فى كل مكان ، فى المدخل ، فى الصالة ، فى الغرف . ولا واحدة منها مضبوطة ، الساعة السادسة بدلاً من الرابعة ، إلى آخره . هل يفعلون ذلك قصداً ؟

أصبحت أمى بلا لون ، أن تشيخ هو أن تصبح بلا لون ، تصبح شفافًا . القط زخارى بلا لون أيضًا ، عمره اثنا عشر عامًا . اليوم تتخيل أن هناك ناسًا فى الحجرة : "لا تهتمى ، إنهم زبائن ، سوف يرحلون فى خمس دقائق، نصفهم لا يدفع شيئًا" كلامها القديم، حياتنا .

رحلت العجوز الصغيرة التى كانت فى الجوار ، صوانها فارغ. لا أجرؤ بعد أن أسأل أين ذهبت .

عيد ميلاد المسيح

عندما حصلت على جائزة رونودو Renaudot ، كانت تقول عنى للممرضات (فقد نقلن لى كلامها) : "لقد كانت دومًا ماهرة فى الكلام "ثم" : لو كان أبوها يعرف، لكان قد قال للعالم كله. لقد كان دائمًا يزحف على ركبتيه!" .

قصصت لها أظافرها ، كانت ترتعش ، مع أننى آخذ جميع الاحتياطات لكى لا أؤذيها . أشعر أننى سادية ، مثلما كانت هى فى الماضى تجاهى . إنها مازالت تكرهنى .

ذكرى : كانت تقول : "لم أطلب أبداً شيئًا من أى أحد" .

الإثنين ٣١

قالت لى: "إنهم لا يتحدثون عن المغادرة، أتساءل إذا ما كنت سوف أغادر ذات يوم . ربما سوف أبقى ..." توقفت دون أن تنطق حتى موتى". كان ذلك هو المعنى . ذلك يمزق . إنها حية ، لديها مشروعات ورغبات مازالت . إنها لا تريد سوى أن تعيش . وأنا أيضًا بحاجة لأن تكون حية.

فى لحظة ما : كلود لا يأتى لزيارة أمه . ومع ذلك فهى ليست بعيدة ، إنها تسكن "سانت - مارى" . وبعد صمت تضيف : "لابد أنها فقدت عقلها" . نقلة تشعرنى بالذنب ، كلود = أنا ، كلود ، الابن الوحيد لمارى - لويز ، الاثنان قد ماتا من إدمان الكحول .

قرأتُ هذا الصباح مقالاً فى جريدة لوموند عن الأمومة والعقم . الحاجة لطفل هى حاجة مَرَضية .

١٩٨٥

يناير

الأحد ٦

في اليوم الأول من السنة، أمي وكل النساء ، كن مرتديات أردتيهن السابقة ، مع قميص وتنورة . لقد أعطوهن شمبانيا . دليل الحياة . أن تتخيل الصباح والممرضات يخرجن الملابس الداخلية من الدواليب ، والأثواب يضعنها على الأجساد العجوزة ويصرخن : عام سعيد! إنه العيد ! هيا يا جدتي !" طوال النهار ، جرت الأمور كما لو كان عيداً حقيقيا . النساء ينتظرن بلا هدف . ليس هناك ما يدعو للانتظار . يأتي المساء ، يخلعن القمصان ، والتنورات . مثلما يحدث في الطفولة ، عندما نلعب فإننا نتنكر ، لكي نبتكر عيداً . لكن هنا كل شيء في الخلفية ، لن يكون هنا أبداً عيد حقيقي .

كانت تقول : "يجب أن يدافع المرء عن نفسه في الحياة" و "عندما لا تكون قويا، يجب أن تكون ماكراً. لم يكن أحد يفكر إلا بمنطق الكفاح، أتحدث عنها بصيغة الماضي القديم . وبالرغم من ذلك فإن التي أمامي الآن هي نفسها التي كانت أمامي في الماضي . ذلك هو المخيف .

السبت ١٩

كل طاقاتها مركزة فى فعل الأكل . بافتراس ، بوحشية .

« فى بداية شهر يناير جاء ذلك الحلم الذى أغطس فيه فى النهر ، بين مجريين ، وهناك شباك تحتى . عضوى أبيض ، وعندى انطباع أنه أيضًا عضو أمى نفسه . أن أجرؤ على أن أثقب ذلك .

"مَن يغنى؟" تسأل امرأة ، مرتين ، عشرات المرات ومع ذلك ، يجب عليها أن تسمعها كل يوم ، ليس هناك إلا واحدة . هى نفسها دائمًا ، تلك التى تغنى حياتها .

فبراير

الجمعة ١

عند الدخول إلى جاليرى لافاييت ، أرى امرأة تتكلم وحدها ، ربما تسأل عن شىء ما . أسير بسرعة دون أن أتوقف ، لكنى أنظر إليها ، هى أيضًا تنظر إلىَّ . عينان زرقاوان رماديتان . وفيما بعد أفكر : إنها أمى ، نظرة أمى فيما مضى . ذنب .

السبت ٢

بعد عام مر يومًا بيوم من لقائى بـ «أ» ، اكتشفت أمى مربوطة فى كرسيها . "كنت أعتقد أنك لن تأتى أبدًا" . أفكها ، نتجول فى الممر ،

أعيد ربطها قبل أن أرحل (ينبغى ذلك ، كما تدعى المرضات) . مثلما كنت أفعل مع أطفالى فى مقعد الأطفال .

تلك العبارة التى كانت تقولها : "ليس لدينا سوى حياة واحدة بعد كل شىء" . (لكى نضحك ، ونأكل جيداً ، ونشترى أشياء) . وكذلك كانت تقول لى : "إنك تطلبين كثيراً من الحياة" .

السبت ١٦

كانت فى نهاية المر تتحسس المنحنى الذى بعد الحائط ، دون أن ترانى آتية . ثم فى الحجرة تفتش فى حاجيات جارتها ، (واحدة أخرى أيضاً ، الرابعة منذ جاءت أمى إلى هنا). أرضية الحمام تلتصق فيها بول جاف . كل شىء بول ، رائحته لا تنمحى أبداً . فى لحظة المغادرة أعيدها إلى حجرة الطعام (كنت سوف أكتب "قاعة الطعام" مثلما فى المدرسة الداخلية) . تعطيها إحدى الحكيمات قطعة حلوى بابتسامة جميلة : "خذى ، إنها تجعل الوقت يمر" . التعاطف الخالص .

متحف ليل Lille ، منذ بضعة أيام . ذلك الجو الاستقبالى ، تلك القاعات الخالية بحارس. ميل إلى أخذ الحراس على أنهم مخربون بدافع وجودهم هناك وحدهم ، دون أن يكلمهم أحد مطلقًا) . رأيت "العجائز" لجويا . لكنها ليست أمى . ليست أكثر من شخصية العجوز فى مسرحية لوليه بولون Lolleh Bellon ، "علاقات حنونة للغاية" فى المساء السابق.

لقد بلغتْ سن اليأس فى العام الذى ماتت فيه أمها .. جدتى ، ربما شهراً أو خمسة عشر يوماً قبل "الأحد" الرهيب ، أحد المشهد ، الخامس عشر من يونيو عام ٥٢ . نحو الخامس والعشرين من الشهر ، عادت من عند الطبيب. ألح أبى إلى حل ممكن ، "إذن فهى آخر مرة نذهب فيها إلى التجمع الكنسى ؟" (يقصد "تجديد" ذهابى إلى الكنيسة) لكنها كانت تعرف أن الأمر يتعلق بسن اليأس . لابد أننى أخطأت فى التاريخ ، لابد أنه كان فى نهاية مايو ، قبل التجديد ، حين ذهبت إلى الطبيب إذن فقد انقطعت عنها الدورة الشهرية منذ شهرين على الأقل . كان عمرها خمسة وأربعين عاماً. وقع "المشهد" فيما بعد، وربما يمكن تفسيره بناء على توقف الدورة. أتذكر ابتسامة أبى وسعادته مفترضاً أن أمى قد تكون حبلى. الخيبة بلا شك . كنا نقول "عودة السن" ، "لقد غادرتنى" ، "لقد انتهى كل ذلك". بدا كل شيء كما لو كان قد انتهى فى اللحظة نفسها.

منذ يوليو ٥٢ ، منذ وفاة جدتى ، أصبحت ترتدى السواد ، أو الرمادى دوماً . لم تستعد الألوان إلا فى أنسى **Annecy** ، بعد ذلك بثمانية عشر عاماً ، التاييرات الحمراء ، إلى آخره .

السبت ٢٣

فقدت طقم أسنانها السفلية الصناعية . الحارسة : "ليس لذلك أهمية ، إنها لا تأكل سوى طعام مهروس" .

اليوم كانت مبتهجة . (ذلك أسوأ) تجولنا فى الممرّين . فى الحجرة ، كانت عجوز تمسك بتنورتها مرفوعة كان يمكن رؤية جواربها

والأربطة التى ترفعها . وفيما بعد عندما مررت مرة أخرى ، كانت تقف بجانبها . كان ردفاها بالين تماماً . نادتنى عجوز أخرى لكى أجمع لها قطع النعناع التى تناثرت أرضاً .

مارس

السبت ٢

انفتح باب المصعد . إنها فى المواجهة تماماً ، مع عجوز صغيرة. كلهن هكذا ، يبحثن عن الآخر .

بالطبع . كيف يمكن لها أن تعثر على طاقم أسنانها ؟

فى كل مرة آتى لأراها ، أحتاج إلى سماع الموسيقى من مذياع السيارة بقوة شديدة ، وأنا أقود على الطريق السريع. اليوم بلذة ويأس ، سمعت Cèst extra لليوفيرى . أحتاج إلى إيروتيكية بسبب جسد أمى ، بسبب حياتها .

كثيراً ما كانت تقول: "سوف آخذك إلى هناك!" للقيام بهذا أو ذاك . وهى تراقبنى .

الأحد ٢٤ ، صالون الكتاب

قبل الذهاب إلى باريس جئت لأراها . لا أشعر بشىء طالما أنا معها . بمجرد أن انغلق باب المصعد ، راودتنى رغبة فى البكاء . جلدها

تشـقق أكثـر وأكثـر ، بسـبب نقص الكريم . لقد فـقـدت طاقم أسنانهـا العلوية أيضـًا . بلا أسنان ، تشبه ممرضـًا عجوزًا فى مستوصف إيفتو ، الأب روى بالمريلة الزرقـاء . إنهـا ضـعـيـفـة للغـاية ، بالكاد تسـتطيع أن تمشى . لكنها تهتم بملابسى، تلمس النسيج دومًا، "إنه جميل" . ثم وهى تستعرض القميص الأسود الداخلى الذى أرتديه : "عندمـا تريدين مثله مرة أخرى سوف تفكرين فى !" كلامها القديم ، كلامها فى الماضى .

الأحد ٣١

إنها تحب وتكره ، تمامًا مثلما كانت تفعل فى الماضى ، "أصدقـاء" و"أعداء" ، بوحشية . كلهن ، يشكلن عالمًا "متحضرًا" . أمرأة تجلس فى المدخل وتقول لكل مَن يمررن : "جولة سعيدة" ، كما لو كانت على عتبة بابها فى الشـارع . وأخرى تقول لأمى : "أنت أجمل كثيـرًا منى ، لديك شبابك" .

أبريل

الإثنين ١٥

لقد تغير وجهها . المساحة بين شفتيها وأسفل الوجه تمتد ، شفتاها ترتجفان بطريقة شاذة . إنها مازالت تريد الرحيل .

فى الصـــالة لا يتــوقف التلفـــاز . هل هـذا أقل حـزنًا بـالنسـبــة للحكيمات؟) إحـدى النسـاء نزعت المفرش المشـمع عن إحـدى الطاولات، وطوتها كفوطة. لقد أنزلوا مريضة عن طريق الرافعة .

الجمعة ١٩

لا أستطيع أن أمنح ملابسها لأحد، ولا أن أبيعها إلى سوق الملابس المستـعملة اليـوم ، بعتُ كراسى من عصـر الإصـلاح Restauration ، وطاولة علـى شكل نصف قمـر كنا قـد اشـتريـنـاها مع زوجى بالائـتـمـان ، أفتقد ملكية لا تعنى لى شيئا ، أنا أيضًا مثل أمى ، أهجـو الأشـيـاء . إنهم "كوادر" شابة – مثلما كنا – الذين اشتروا هذا الأثاث القديم .

الأحد ٢١

مـربوطة مـرة أخـرى . لا تسـتطيـع أن تأكل قطعـة الجـاتوه ، مـوس بالمشمش ، لم تكن يدها تجد شفتيـها ، ولسانها ممدود نحو الحلوى التى لا يمكن الوصول إليها .

أطعمـتـها إياهـا ، مثل أطفالى فـى الماضـى . أعتقد أنها قد أدركت ذلك . أصابعـها متصلبة (تجبر علـى الهالدول Haldol) شرعت فى تمزيق كرتونة الجـاتوه ، وفى مـحـاولة أكلها . كـانت تمزق كل شىء ، فـوطتـها ، قميصـها الداخلى ، كـانت تحـاول أن تلوى كل الأشـيـاء بلا وعى تمامًا . ذقنها ساقط ، فمها مفتوح .

لم أشعر قط بهذا الذنب، بدا لى أننى أنا التى قدتها إلى هذه الحالة.

السبت ٢٧

إنها أحسن كثيراً ، مع أنها لا تستطيع المشى طويلاً . إنها تأكل جيداً ، ثم تريد أن تغسل يديها . أقودها إلى الحمام : "سوف أستغل الفرصة لأتبول قليلاً" . لا تستطيع أن ترفع السروال الداخلى الملىء بالحفاضات : "إنهم يضعون كثيراً منها " . أساعدها ، ثم أضع لها السروال مرة أخرى . طفلة . كل شىء هناك . "سوف تحضرين لى قطعة قماش قديمة لكى أمسح مؤخرتى" . هكذا قالت . وكذلك : "ذهبت إلى قبر أبيك ، لكنى لم أستطع الوصول ، لقد قادونى فى الاتجاه المعاكس" . (بالتأكيد أنها تود أن تعيش ، ولا تريد اللحاق به) .

"لا ذرة غبار على قبره ، إنها قطعة رخامية" .

فى الغرف المجاورة صراخ . عجوز يردد "آلو ، آلو" . فكرت أنه ربما يكون الرجل الذى أراد أن يتصل تليفونيا فى الصالة. امرأة تصدر صوتًا غريبًا لطائر استوائى ، تاكاتاكاتا ، كان اليوم نوعًا من الحفلات الموسيقية ، الحياة التى تريد أن تمتد ، وتتضوَّع أكثر قوة من المعتاد .

أتذكر أنه فى العام الماضى كانت بداية قصتى مع «أ» فى أثناء بداية تدهور أمى . فى ذلك الوقت لم يكن لها هذا الوجه المتورم . وذات مساء رأيتها نائمة ، كان ذلك فى المساء ، كانت هناك شمس . بكيت وقتها ، لكن يبدو لى أننى لم أكن تعيسة .

مايو

السبت ٤

لم تعد تمشى قط ، اضطررت إلى رفعها بصعوبة من كرسيها . ثم تقدمت فى الممر جيداً جدا . ذنب : إنها تمشى مرة أخرى بمجرد أن أكون معها . لقد أعطيتها فطائر ، وشيكولاته ، تلك التى دائماً ما تقطع مربعاتها إلى نصفين (ذكرى : لكى تدوم أطول ...) . فى لحظة ما : "كم من الوقت سوف أبقى هنا ؟ سوف أموت قبل أن يمر هذا الوقت!" .

جارتها التى نال منها المرض نفسه ، لكنها ما تزال فى بدايته ، تتجول دائماً بصندوق التجميل . تضعه على منضدتها الليلية ، ترتبه بعناية ، تأخذه مرة أخرى . كانت أمى تفعل الشىء نفسه عندى . شىء ما يربطها بالعالم ، شىء لها .

عندما كنت فى الثانية عشرة من عمرى ، كنت أمكث ساعات أطالعها، أتحسس صندوق العناية بالأظافر المطلى باللون الأسود اللامع. لم يكن لدينا كثير من الأشياء ، وكل منها كان بمثابة الحلم .

لم تكن تريدنى أبداً أن أذهب فى عطلة لدى أصدقائها . هل كانت تخاف من تقييمهم لى؟ أم من أنهم لن يحبونى؟ أم أنها – وهى المرة الأولى التى يخطر فيها ذلك ببال – كانت تغار ؟ كنت أغار بوحشية عندما كانت تنادى ابنة خالتى ، وصديقاتى بـ "حبيبتى كوليت ، حبيبى نيكول" . فلم تكن تلك البنات بناتها ، ولم يكن من حقها أن تقول ذلك .

قريباً يمر عام على فقدها نظارتها .

السبت ١٨

بعناد غير مسبوق ترفض أن تراني اليوم . كان الجو جميلاً ، خرجنا إلى الحديقة بالكرسي المتحرك الذي أقوده بصعوبة . ألحظ أنني قد تعودت على تدهورها ، على وجهها الجديد اللا إنساني . أتذكر تلك اللحظة الرهيبة التي بدأت فيها "الرحيل". كانت تدور بلا توقف في المنزل ، كما لو كانت تبحث عن شيء ما لا يمكن العثور عليه (فيما بعد فكرت في السلحفاة التي كانت في حديقة آنسي **Annecy** ، وهي تزرع السياج ، والممرات في كل الاتجاهات في الخريف) . وكانت تكتب : "لم أخرج من ليلي" .

أحد العنصرة

عندما أصل بالسيارة أرى عجائز كثيرين بالخارج ، في كراسٍ متحركة ، أناسًا منهم من أعتقد أنهم زوار . أصعد ، أمي في الممر تتعرفني ، أنزل بها إلى الحديقة في كرسيها المتحرك . ألحظ عندها أنه لا يوجد سوى عجائز في الخدمة ، يرتدون قبعات من القش ، وتحت حراسة الممرضات . ذقن أمي يسقط أكثر فأكثر ، تجاعيد من الشمس تتكون حول حواف شفتيها. نمكث هناك فوق دكة خشبية . إنها تأكل . ألحظ أنني لا أحضر لها أبداً "قطعة الجاتوه الصحيحة" : اليوم قطعة سابليه جامدة للغاية بالمربى التي تنطلي بها أصابعها . يجب ألا أحضر لها سوى فطائر الفواكه والبريوش باللوز. نساء يتحدثن وحدهن. رجل عجوز يهز رأسه بهيستيرية تحت قبعته القش . لا أفكر في شيء .

يونيو

الأحد ٢

إنه عيد الأمهات . أحضرت لها قبعة القش التى كانت لديها فيما مضى . نزلنا إلى الحديقة ، على دكة خشبية . لم تكن بحاجة لكرسى متحرك . ربما بالنسبة للأخريات ، فإنها تشبه الآن الساحرة العجوز . استمر تحولها عاماً ، منذ جاءت هنا . لقد طُويت نصفين ، هى المستقيمة دوماً . وبشرتها قليلة التجاعيد حتى قبل مجيئها ، أصبحت مقلمة بأخاديد الوجه . اليوم كانت تمسك بطرف مريلتها ، كما لو كانت تريد التعلق به . عندما ركبت المصعد كانت هى فى مواجهة المرآة . أنا واثقة من أنها "رأت نفسها" .

الأحد ٩

كانت تنتظر فى كرسيها المتحرك أمام المصعد .

إنها تتحدث عن الانتحار ، عن القداس الذى لن تعود منه ، عن المال . "أخشى قضاء سنوات طوال هنا" . أحياناً لا أنهى عباراتى . "نحن نفهم إحدانا الأخرى" . هكذا كانت تقول فيما مضى ، عندما كانت تبحث عن صياغة لكلامها .

ترتب جارتها فى الحجرة صوانها طوال نصف الساعة ، تخرج كل شىء ، وتعيده مرة أخرى . ماذا تعنى تلك الإيماءات التى كانت

تمارسها أمى فى بداية مرضها أيضًا ، عندما كانت عندى أن تضع فى الخارج "ترتيبًا" من المستحيل العثور عليه فى الداخل .

كم من الآحاد مرت حتى الآن ، وأنا أقف أمامها أشاهدها وهى تأكل ؟ أشجار تتحرك ببطء من النافذة .

كانت تقول فى سعادة : "آنى ! لديك زيارة ! " عندما كانت زميلة لى تأتى لزيارتى . أهمية الزيارة بالنسبة لها دليل على الحب ، علامة على أننا موجودون بالنسبة للآخرين .

الأحد ٢٣

كانت تنام فى الكرسى المرفوع الذى يستخدم للتجميل فى المدخل ، فمها مفتوح . لم أعد أفكر فى شىء هنا .

عجوز غرفتها تتجول بلا توقف ، وحقيبتها فى يدها ، كما لو كانت فى الشارع . لقد أحضرت عجوز أخرى ، وجلست كل منهما إلى جوار الأخرى ، وبقينا هناك دون كلمة واحدة ، مبتسمتين بطريقة احتفالية . بنتان صغيرتان تلعبان دور سيدتين فى زيارة . يا للانقلاب .

صرخات من الضحك كانت تأتى من المطبخ . يوم أحد صيفى عادى فى إقامة طويلة .

ذكريات : أراها تحكى فى محل البقالة أن الآنسة «ب» التى وضعت طفلاً أبوه ألمانى ، لم تكن لديها أية تجهيزات للوليد . لم أفهم معنى تلك

الملحوظة إلا بعد ذلك بأعوام ، فما لم يكن أحد يجرؤ على قوله كان يتم الإيحاء به . ربما أن تلك الفتاة أرادت التخلص من طفلها .

ذكريات أخرى ، عبادات : "ليس لدى أربع أذرع ! " (من أجل كل ما كنت أطلبه منها ، أو كان أبى يطلبه). و"لست قوية بالقدر الكافى لكى ..." دائمًا ما كانت تبرز قوتها الجسمانية ذات القيمة فى عالمنا ، أما أنا فقد كنت "طبيعة صغيرة" أدنى منها .

الأحد ٣٠

فى الحديقة أتركها تحت مراقبة الحكيمات الجالسات بالقرب من العجائز الأخريات ، ومن جديريل ، إذن فهى تصرخ : "أخى ! " مر أكثر من عام منذ أن نادت باسمى . وفجأة فرغت من الإحساس . جاء هذا النداء من عمق حياتى ، من طفولتى . أقوم بنصف دورة ، وأعود بالقرب منها ، تنظر إلىّ : "خذينى !" سكت الناس كلهم ينصتون . كنت أفضل الموت على ذلك ، شرحتُ لها أن ذلك ليس ممكنًا ، ليس الآن . ثم فكرت أنها ربما قد نادت علىّ بكل قواها لأن هناك ناس كانوا حولها. ذلك غير مؤكد .

عندما شبعت من البريوش خبأتها تحت تنورتها . أثناء طفولتى كنت أخبئ الحلوى التى كنت أسرقها من محل البقالة داخل سروالى الداخلى .

يوليو

الأحد ٧

منذ أسبوعين لم تعد تمشى . تعـودت على الكرسى المتحـرك . أنزلها إلى الحديقة . الجو حار جدا . تقول : "الشمس طيبة" . مازلت مندهشة من أن أسمعها تنطق بالعبارات التى كانت تقولها فيما مضى ، فى الحالة التى هى عليها الآن. لم تعد ترى أى شىء مميزاً . فى لحظة أمسكت بساقى . بالتنورة ، فى قسوة . حكيمتان شابتان ابتعدتا عن العجائز لكى تثرثرا . وأخرى مسنة ، قبيحة إلى درجة شنيعة ، بقت معهما . أمى ترتدى ثوباً بورود صغيرة ، مثل ذلك الذى كنت أرتديه فى طفولتى . تبدو هزيلة الجسد للغاية داخله . من الواضح أننى لم أكبر إلا الآن فقط .

قالت لى : "إلى الأحد !" بينما لن أستطيع رؤيتها طوال شهرين بسبب عمليتى الجراحية ، عملية قد أموت فيها ، قبلها حكيت إيماءاتها وحركاتها الصامتة للأولاد ، انهرنا من الضحك . إنها استحالة الاحتفاظ بالألم ، فتحويله إلى كوميديا .

اليوم أحسست أننى مذنبة ، مازلت . وكذلك سعيت لأن أريحها بأن أقص لها أظافرها التى كانت متسخة بطريقة بشعة ، وبأن أغسل لها يديها ، وأحلق لها . تساءلت عما إذا كانت تتبول الآن بينما هى جالسة على الكرسى ، لكنى لم أجرؤ على طرح السؤال .

أغسطس

السبت ١٧

لم أعد بعد لأرى أمى ، بالرغم من أننى أستطيع السير على عكازين . لا يجب أن أذهب "كعجوز " إلى مكان الشيخوخة ذاك .

أمى ، قوتها ، رهبتها الدائمة أيضًا . لدىَّ التوتر نفسه ، لكن فى الكتابة .

كان أبى يقول عنها بإعجاب : "لن تكون لك الكلمة الأخيرة معها!".

الإثنين ٢٦

ذهبت لزيارتها مع داڤيد الذى يعانى ألمًا كبيرًا كما هو واضح . عادت الرائحة مرة أخرى ، الحجرة ذات منظف المداخن الصغير من آنسى Annecy ، والتمثال المصغر للقديسة تيريز ، الأشياء فى مكانها . ربما متعة الدوام. أن أراها ، أن ألمسها ، مختلفة للغاية عما كانت عليه ، وبالرغم من ذلك تظل هى. كانت حجرة الطعام مليئة بالعجائز أنفسهم . موسيقى الروك بالتلفاز ، عندما آتى هنا أشعر بأننى يجب أن أكتب عن ذلك كله .

سبتمبر

الخميس ٥

غدًا يمر عامان على ذهابى إلى مستشفى إيڤتو لكى آتى بأمى . أتذكر الممر المؤدى إليها ، فى بيجينياچ ، وامرأة قالت لها بفخر : "إنى ذاهبة إلى ابنتى !" ، وحوارات فى السيارات .

اليوم زرتها مع إيريك . كانت فى المدخل ، تتلمس - وهى تدبدب خفيفًا بقدميها - الماسورة على الحائط . تعرفتها من حذائها . كانت جارتها فى الحجرة تتمشى فى هذا الحر ، وهى ترتدى معطفًا من الفرو، وحقيبتها الصغيرة فى يدها، مثل عاهرة عجوز .

أظافرها طويلة للغاية ، وشعرها أيضًا، يعطيها إيحاءً بأنها شعثاء. ليست لدىّ الشجاعة لأقصه . لم أعد "أشعر بشىء وأنا أفكر فى تدهورها ، وأسأل نفسى ذلك السؤال بدرجة أقل فأقل : "هل ذلك بسببى ؟" لقد بدأت فى فقدان ملكاتها منذ عام ٨٢ ، قبل أن تأتى عندى. لكنى لم أنجدها بالقدر الكافى ، لقد عبرت " ليلها " وحدها .

فى لوموند كتبت ناتالى ساروت "لقد استحق ألفًا" هذا تعبير من تعبيرات أمى التى كانت تقول أيضًا "لقد استحق عشرة". لم أكن أحب تلك الكلمات ، كنت أجدها جزءًا من لغة قديمة ، شكلاً من الرفاهية - عما لا يجوز قوله حتى لا نجرح الناس - غريبًا عليها .

إنها "الزمن" بالنسبة لى . إنها تدفعنى أيضًا نحو الموت .

السبت ٧

كنت أتخفى فى ملابسها .

"سوف أقول لأمى!" كانت تلك هى المنصفة التى تستطيع فى النهاية أن تتشاجر مع أم البنت الأخرى .

أتذكر "فنجان الشاى" لدى طبيب الأسنان فى روان . كنا ننتظر فى صالة ذات واجهات زجاجية مليئة بالقطع الفنية الصينية ذات التعبيرات الغريبة ، وكراسٍ عميقة. صالات الانتظار فى طفولتى هى أماكن مرعبة غريبة ، حيث أنتقل إلى "العالم الآخر" ، عالم الأثرياء ، الناس المهمون ، "واجهة" محظور لمسها . كانت أمى تتحدث بصوت خفيض . وبعد جلسة مؤلمة بشكل خاص ، قال طبيب الأسنان "ذلك يستحق حقا فنجانًا من الشاى !" اندهشت أن يتخيل أحد ذلك المزيج البشع بوصفه مكافأة ، وانتظرت أن ترد أمى قائلة "إنها لا تحب الشاى!" لكنها لم تقل شيئًا ، وابتسمت . كانت تعرف أن ذلك "وارد" ، أن يشرب المرء الشاى فى "العالم الجميل" .

الجمعة ١٣

بالأمس كسرت أمى عظمة فخذها . فى المساء ظلت النوارس تدور بلا توقف حول البيت ، ثم انطلقت الصرخة الرهيبة لأجد الطيور ، ربما بومة أو نورس. فى تلك اللحظة بالضبط كنت أفكر فى كتاب عنها. إننى فى حالة تشويش مطلق .

المساء : لقد رأيتها ، كانت نائمة ، فمها مفتوح . كانت يداها تتحركان . بكيت . هيئ إليَّ أن ذلك قد امتد منذ زمن طويل جدا . بم تشعر؟ سوف تُشفى، أى أنها سوف تتعفن بين الفراش والكرسى . لم أر أحدًا ، لا طبيب ولا ممرضة فى القسم الذى نقلوها إليه .

الأحد ١٥

إنها فى مكانها مرة أخرى. مربوطة فى كرسيها ، متصلبة ، تحاول النهوض دون توقف ، ممتلئة بالقوة ، عيناها لا تبصران . لا يمكنها أن تأكل وحدها ، يدها اليمنى تبحث عن يدها اليسرى. أقول لنفسى فجأة . إن الاتجاه الذى يسير فيه العالم بعد عشرين أو خمسين عامًا لن يحتفظ فيه أحد بمخلوقات مثل أمى على قيد الحياة .

"إنك تسرفين" هكذا قالت لى وهى تلومنى . احمر وجهى ، واختنقت فى محاولتى للصراخ ، للجرى . وإذا نظرتُ إليها طويلاً : "هل تريدين أن تشترينى ؟" تنبس بكل تلك العبارات بينما لم تعد تتكلم بتاتًا . لكن مازال هناك صوتها" ، وأحيانًا تعبيرات تجسد "نفسها" ، فتختلط مع كيانها الفريد . محاولة ضائعة لتثبيتها . هواجسها : العمل ، الكحول (المكبوت) ، الأشياء الفظيعة ، المآسى .. إلى أخره .

لم تكن تريد حدوداً ، لكن - بسبب فقر بيئتها - كانت لديها الحدود الدينية للأخلاقيات البيوريتانية التى تساند الكرامة ، أو تحل محلها . أما أنا فلم أرد لنفسى أية حدود .

من المرعب أن أدرك كيف كانت أمـي دوماً رمزاً للموت بالنسبة لى . عندما ذهبت إلى لورد **Lourdes** وحدها . كنت أعتـقد أنها سوف تموت هناك عن قصد. وفيما بعد أرعبتنى القصة التى حكتها عن موت أختى . أحسست أنها سوف تحبنى فقط عندما أموت بدورى ، بما أنها تقول ، فى ذلك اليـوم وهى تتـحـدث عنى "إنهـا أقـل لطفًا بالتـأكـيـد مـن الأخرى" (أختى) .

ملابسـهـا التى بقيت لدىّ ، كما لو كانـت تخـص شخصًا ميتًا ، لن ترتديها قط . وبالرغم من ذلك فهى حية ، ويمكنها – مثلاً – أن تستفز داخلى الإحساس بالذنب .

أجد لدىّ إيماءاتها المفاجئة نفسها، قسوتها ، إمساكها بالأشياء ، إلقاءها بها فى عنف . لفت «أ» نظرى إلى ذلك بتقارب سلوكه من هوس أمى بالترتيب ، فى داخلى ، منذ قرابة العامين . إنه لا يكف عن الانتقال من منزل إلى آخـر ، عن ترتيب الكتب فى المكتبـة ، مطمئنًا نفسـه على ثرواته الفكرية ، معوضـًا ذلك النقص الرهيب فى أنه لم يحصل إلا على البكالوريا . كانت أمى تحاول التشبث بالعالم ، والتأكد من أنها ليست مجنونة ، أصبحت تلك الفترة التى قضتها معى بعيدة ، ذكرى سعيدة . كانت تحيك وتفقد إبرتها . الآن ...

هذا الحب الكبير الذى كنت أكنه لها فى سن الثامنة عشرة ، الملجأ المطلق الذى كانت تمثله . وكنت بوهيمية .

الخميس ١٩

فى اليوم السابق كانت تهدد بالتقيؤ . كنت أدللها مثل إيريك الذى كان يتظاهر بإرسال الأطعمة التى لا يريدها بعيداً وهو طفل .

لم أر أبدًا صورة لأمى فى طفولتها . فى الصورة الأولى لها كانت بزى الزفاف . وفى الأخرى فيما بعد كانت فى حفل زفاف . وجه ثقيل ، جبهة ضيقة ، شىء ما من الثور . ولكى أعرفها أكثر تأتينى هذه العبارة . إنها امرأة تحرق كل شىء" . (من خلفها ، لا ورقة واحدة ، لا آثار) .

كانت تحب أن تعطى أكثر من أن تأخذ . أن تعطى قيمة لنفسها ، أن تنال اعترافًا بها . فى صغرى كنت أحب أن أعطى أيضًا صوراً ، حلوى ، لكى أكون محبوبة وشعبية . وفيما بعد لا . أليست الكتابة وما أكتبه طريقة للعطاء ؟

مشهد من الطفولة : إستدارت عارية نحو أبى الراقد فى الفراش . قهقه قائلاً : ليس جميلاً ! عضوها هى ، أصل العالم .

كانت تقول بصوت موبخ لعجائز المقهى الشبقيين " هيا بعيداً ، أيها العجوز القبيح " (عبارة تقولها للكلاب الذين يجرون وراء كلبتنا الصغيرة).

أكتوبر

الجمعة ٤

الحكاية التى كانت تحكيها عن لورد Looourdes، والجبل السائل الذى نغوص فيه ونغرق عندما لا نعرف أن الأمر يتعلق بالماء – وحيث اعتقدت أنها سوف تموت – هى حكاية ابتكرتها أو شوهتها بالأحرى .

تلك الكلمات : "إننى فتاة وحيدة" .

ذوقها فى استخدام كلمات صعبة لكى تحقق "تأثيرها الصغير" . عندما شاهدت "بيض النعامة" لروسان فى التلفاز ، وجدت كل النساء متيمات ، صوراً مقلوبة لأمي ، بأجسادهن وهيئاتهن الضعيفة ، بحرارتهن ولؤلؤهن ، وغنجهن .

الثلاثاء ٨

إنها فى المدخل ، وفى بادئ الأمر فإننى لا أتعرفها . لقد جذبوا شعرها إلى الخلف فى ذيل حصان ، وجهها جامد ، أريها منظف المدخنة الصغير تحت فراشها ، ذلك الذى أهدته إليها صديقة من أنسى. تنظر إليه وتهمس : "لقد كان لدىَّ واحد كهذا فيما مضى. أتساءل باستمرار : كيف تدرك العالم الآن ؟ عندما أفكر فيما كانت عليه . فى أثوابها الحمراء ، وتوهجها ، أبكى. فى غالب الأمر لا أفكر فى شىء ،

إننى بجانبها ، هذا كل شىء . هناك دائمًا ، "صوتها" بالنسبة لى . كل شىء موجود فى الصوت . الموت هو غياب الصوت فوق كل شىء .

كانت تقول : "فلان أو علان ، أو كلب ، مات من الطموح" . الموت من الطموح ، أى من ألم الانفصال ، من الابتعاد .

الثلاثاء ١٥

جو أكتوبرى رمادى ، مثلما فى عام ١٩٦٢ ، عندما كنت أمتحن لشهادة الآداب . نجلس وجهاً لوجه . هى تأكل حلوى ، يداها ترتعشان ، تمرر قطعة الحلوى من يد إلى يد. "كنت جوعانة ، لم آكل منذ عدة أيام . لقد قطعوا عنا الطعام" . التعبير المخفف المعتاد عن نقص المال . عدة عبارات تشعرنى بالذنب "أرغب جدا أن أقضى العيد هناك . أو لا يستغرقك المجىء وقتًا طويلاً . يجب عليكِ أن تأتى أكثر .

كل مرة آتى فيها تستقبلنى مثلما كانت تفعل فى الماضى مع الناس الذين يزورونها : "دائمًا راغبة فى البهجة ، فى الحياة السعيدة . تسألها عجوز صغيرة بقلق: ألن تذهبى ؟ " لا ، لا " . هكذا ترد سريعًا ، كما لو كانت تريد أن تجيبها الألم بهما كان ضئيلاً .

الجمعة ١٥

أعطيت صدقة إلى الأعمى فى السوق ، مثلها .

"لقد حولت هذا الرجل عن واجبه" . "يجب أن يقوم المرء بواجبه فى الحياة". منذ المراهقة وأنا أنفر عند سماع تلك العبارات . هذه الكلمة .

تصويرى الاستيهامى لها ، طرف بلوزة بيضاء ، بلوزة العمل البيضاء التى كانت ترتديها كتاجرة ، ورائى باستمرار .

الإثنين ٢١

مع الناس كانت دائمًا تخاف أن تهمل الكلام . أن تقول كلمة صغيرة لكل منهم .

لا أعرف شيئًا عن الطريقة التى كانت تنظر بها إلى الحب ، أو تمارسه . فى الظاهر كان الجنس هو الأذى المطلق والواقع .

الأربعاء ٢٣

اليوم تقول لى : "سوف أكون بالتأكيد أفضل معك ، من أن أكون خارجك" .

ردود أفعالها الذوقية : "أليس هناك مقعد ؟" لأن ممرضة تقف إلى جوارها . جلست أقرأ جريدة . مدت يدها نحو ورقة الجاتوه ، فأعطيتها لها كما لو كانت طفلة . بعد ذلك بدقيقة ، وقد رفعت عينى ، لاحظت أنها تأكلها . لم أكن أريد أن أنزعها منها ، ضامة أصابعها بقوة . الرعب من هذا الانقلاب أم / طفل .

نوفمبر

الأحد ٣

الشعر مشعث ، اليدان تبحث كل منهما عن الأخرى ، اليمنى تضم اليسرى كأداة غريبة . لا تجد فمها ، مع كل محاولة تصل قطعة الجاتوه مائلة. القطعة التى وضعتها فى يدها تسقط مرة أخرى. يجب أن أسربها داخل فمها . شىء مفزع ، تحلل زائد ، حيوانية . العينان هائمتان ، اللسان والشفتان تمتص ، تتدلى ، مثلما يفعل حديثو الولادة . بدأتُ أصفف لها شعرها ، وتوقفت لأنه لم يكن لدىَّ أستك لربط شعرها . فقالت إذن : "أحب أن تصففى لى شعرى" . مُحى كل شىء . الآن وقد صُفف شعرها وحلقت ، أصبحت آدمية مرة أخرى . تلك المتعة فى أن أسرى عنها، أن أرتبها. تذكرتُ أنه عند وصولى كانت جارتها فى الحجرة تلمس رقبتها وساقيها. أن توجد هو أن يتجسس أحد ، أن يلمسك .

الإثنين ١١

إنها متهيجة للغاية ، لا تكف عن رغبتها فى عض ذراع الكرسى المتحرك . إنها تتشبث به وتجذب بكل قواها ، متقلصة . يعيدنى ذلك العنف إلى عنفها تجاه كل شىء ، وتجاهى . إنها تفزعنى مرة أخرى بصورة "الأم السيئة" ، القاسية ، المتصلبة . هناك رائحة خراء لا تُطاق لكنى لا أعرف متى سوف يمكننى أن أغيرها بنفسى . لقد أعطيتها قطعاً

صغيرة لتأكل ، ولم تنظر لى مرة واحدة. من الآن لن تقول "هذه ابنتى" عندما ترانى ، مثلما كانت تفعل فى العام الماضى .

ذكراها وهى جالسة على دلو الغرفة، إيماءات فاجرة، ذلك الاختلاط الغريب بنساء كانت تفرضهن علىَّ فى طفولتى ، مما أفزعنى فيما بعد .

لكنها كانت تعلمنى دومًا الكبرياء : "هل تتحملين ذلك ؟" بمعنى : أنت ، هل تقبلين أن تتعاملى هكذا ؟ (من قبل زوجى) .

الأربعاء ١٣

بالأمس فى إيڤوتو خالتى وبناتها : "إنك تشبهين أمك ، بل نكاد نخلط بينكما ! " تتحدث خالتى عنها : "لقد عملت طيلة حياتها . لقد دعكت الأرضيات ، وكانت تقول لأبيك ، اترك هذا ، سوف أقوم به!" أستعيد كبرياء أمى بسبب قوتها الجسمانية ، ونفورها من المرض كأنه شىء لا يرقى إليها . وحش عمل . كانت عباراتها تلك تمثل لى فزعًا: "ليس لديك صحة !" .

الأحد ١٧

كانت عجوز غرفة أمى جالسة إلى جوارها . لوحة عذبة جدا لتواطؤ سرى ، وكامل بينهما . إنارة مدهشة لمنظر إنجيلى لرسام من كوا تروشينتو Qua ttrocento. فرحة جوهرية لا توصف. تقول أمى للمرأة

وهى تفرجنى : "هل تعرفتى عليها ؟" المرأة كعادتها ، فمنذ وقت طويل لم تعبر عن نفسها بهذا الوضوح . ليست لذلك أهمية ، سواء فهمت كل منهما الأخرى بالكلام أو لا . جلست فى مواجهتهما ، أعطيت قطعة جاتوه لأمى كى تأكلها - لم تكن المرأة الأخرى تريد - ثم قطعة أخرى . كنا نسمع التلفاز ، ڤالسات ڤيينية . رأيت إيڤوتو فى الآحاد بعد الظهيرة . إنه ليس الإحساس بالزمن الذى يمر فحسب . بل شىء آخر ، شىء مميت . إننى الآن كائن فى سلسلة ، وجود مدرج فى شبكة مستمرة بعدى .

أغسل لها فمها بقفاز التجميل . تنظر إلىَّ وتقول :

هل أنت سعيدة ؟

أذهب إلى الحمام، الأرضية مليئة بالبول ، ملتصقة . تقارب إجبارى مع مشهد الصباح ، لدى «أ» لا أعرف شيئًا عن نوازعها الجنسية . من إحدى عباراتها ، لو عرف الناس ذلك لخجلنا .

الأحد ٢٤

الطريقة التى تنظر إلىَّ بها من أعلى ، بتكبر أحيانًا تشعرنى أنها لا تتعرفنى . إنها تأكل قطعة الجاتوه وحدها ، وتسقط منها فى كل مكان . لكنها قطعة الجاتوه - مع ذلك - التى تأكلها بسهولة أكبر . فى التلفاز أغنية من الستينيات ، "بما أنك سوف تتزوجين غدًا" ، أو شىء

من هذا القبيل . حياتى منذ ذلك الوقت . وهى التى كانت حاضرة للغاية دائمًا فى حياتى .

رائحتها كريهة . لا أستطيع أن أغيرٌ لها . أرشها بماء الكولونيا .

ديسمبر

الأحد ١

لم تجد مدخل فمها ، كانت تنحرف باستمرار نحو اليمين . ساعدتها . عندما لم يتبق شيء بين أصابعها بتاتًا ، استمرت فى رفعها نحو فمها . لا أعرف ما إذا كان الطفل يفعل ذلك ، لا أتذكر .

عندما أكتب كل تلك الأشياء ، فإننى أكتب بأسرع طريقة ممكنة (كما لو كان ذلك شيئًا سيئًا) ، ودون أن أفكر فى الكلمات التى أستخدمها . كانت ترتدى اليوم روبًا عليه ورود ، كان القماش مليئًا بالخيوط البارزة من كثرة الاستعمال . لوهلة سريعة بدت لى أمى كما لو كانت مغطاة بشعر حيوان .

انتهت من فطائر الفاكهة. لو تركتُ السلة إلى جانبها، فلن تلمسها ، ولن تسعى للإمساك بقطعة واحدة من الحلوى ، الآن هى تتشبث فقط ، أو تريد أن تمزق .

كــانت المرأة ذات النظارة تبكى وتقــول : "أريد أن أمــوت" . إلى جانبها زوجها ، الرجل ذى العينين الحمراوين دومًا ؛ أجابها بهدوء " إنه أنت التى تميتيننى " . هذا صحيح بلا شك . كانت امرأة تصرخ فى حجرة ما ، بالضبط مثل البطة التى يطاردونها فى فناء المزرعة .

قبل الرحيل أعطيتك ماءً لتشربى. قالت لى: "سوف تنالين جزاؤكِ". تلك العبارة قلبتنى .

عند عودتى إلى البيت ، على الطريق السريع ، شعرت على أصابعى بماء الكولونيا الذى وضعته لها .

وفجأة دون أن أعرف السبب رأيت مرة أخرى سوق إيڤوتو ، وخروجى معها . رائحة بودرتها .

الظل الأسود على وجهها ، أراه كثيراً . فى طفولتى كانت هى بالنسبة لى ظلا أبيض . كيف استطعتُ أن أنسى أنها كانت تسمينى حتى سن السادسة عشرة "مومياءها البيضاء" ؟

بين حياتى ومماتى ، ليس لدى مجنونة سواها .

الأحد ٨

تستدير نحوى ، فمها مفتوح ، شعرها مربوط هذه المرة . البلوزة ذات الورود . ودائمًا رائحتها . لا أستطيع أن أغير لها ، ولا أجرؤ على

إزعاج الممرضات والحكيمات اللائى يتنافسن فى المكتب . أسمعهن . واحدة تردد : "المشكلة هاهنا" و "أن نفعل ذلك من أجل لا شىء" . (أظن أنها تريد أن تقول إنها تحرم نفسها) .

لا تعثر على شفتيها من أجل قطعة الجاتوه الأولى . وفى الثانية تنجح . التحسن ممكن ، مازال ممكنًا . المرض ذو الثامنة وستين عامًا ، ذو الشعر الطويل ، "المثالى" (هو الذى قال لى ذلك) ، يأتى بناء على طلبى ليرى الشامة التى على رأسها . لقد سال منها الدم .

الأحد ١٥

إنها فى الصالة ، الوحيدة التى دار كرسيها فى مواجهة الحائط . هناك شرائط زخرفة متدلية من السقف . تريها لى قائلة : "إنه ثوب أنى". ولا تفكر فى سواى. الورق المرسوم على جدران الصالة يذكرنى فجأة بورق الحائط فى مقهى إيفوتو قبل عام ١٩٥٠ . انطباع بأنه لا شىء قد حدث منذ مطلع طفولتى، وأن الحياة كلها ما هى إلا تراكم من المشاهد ، الواحد تلو الآخر ، ومن الأغنيات . أمكث مع الجميع أمام التلفاز . خلف أمى امرأة تضحك وحدها . وأخرى ، أقل جنونًا ، تصرخ فيها: "كفِّى عن الضحك! أنت مجنونة " ثم تقلق من امرأة أخرى، بلهاء جدا ، تضايق رجلاً جالسًا فى كرسى بلا توقف ، متنبهة بجوار النافذة. تعرفتُ على الرجل العجوز الذى أراد دائمًا أن يتصل هاتفيا من القاعة بأناس لم يردوا أبدًا . صوت عميق لرجل (لكن مَن هو؟) ، صوت متوحش" ، قادم كما لو كان من البطن . الأصوات تعود وحشية هنا .

هناك صورة لبابا نويل على الحائط فى العمق ، برنامج لچاك مارتان ، ألعاب ، رجل كسب رحلة إلى أمريكا . المرأة المتنبهة تصرخ : "أوه ! لا لا !" . سوف نرى بعد ذلك أظافر قدمين مطلية بطلاء الأظافر ، إيروتيكيون ! إعلان . تخيل حياة : طفل ، بالغ ، عجوز ، دائمًا أمام التلفاز بتلك الصور التى لا تتغير : جمال ، شباب ، مغامرة .

الأحد ٢٢

أنا جالسة على مقعد أمامها ، علبة الشيكولاتة على فخذتى . لقد استعادت شهيتها ، تنظر بشراهة إلى قطعة الشيكولاتة ، تحاول أن تمسك بها بأصابعها الخرقاء ، بعد كل قطعة من الحلوى ، تمسح فمها بعناية . جلست أدنى من مستواها ، يجب أن أرفع رأسى قليلاً . عمرى عشر سنوات ، أنظر إليها ، إنها أمى . دائمًا الفارق العمرى نفسه ، الاحتفالية نفسها .

عند رحيلى: "لماذا لا تأخذيننى معك؟" سوف يكون ذلك أكثر بهجة".

١٩٨٦

فبراير

الأحد ٢

منذ أردت أن أحكى حكايتـهـا ، لم أعـد أسـتطيع أن أكـتـب بعـد زياراتى. لم أعد بحـاجة إلى ذلك ، ربما.. إننى فى ماضيها ، فى قصـتها قبل كل شىء .

لكننى أشعر بالقلق حيالها أكثر فأكثر . أخشى أن تموت . أحيانًا أفكر حـتى فى أن آخذهـا إلى البـيت . دائمًـا تلك الحـركة المجنونة التى جعلتنى أستقبلها عندى عام ٧٠ ، ثم عام ٨٣ لكى أكتشف فيما بعد أنه يستحيل الحياة معها .

الأربعاء ١٢

كانت تشرع فى النظر إلى الفراغ وهى تمد يدهـا أمامهـا ، محنية فى كرسيها ، عندما حضرت . الوصول إلى شىء ما ، لمسه . هى ، هى حقا ، فى رغبتها - مازالت - لاكتشاف العالم حولها . كان بإمكانها أن

تأكل وحدها ، باليد اليسرى أو اليمنى. نحلت أكثر وأكثر . فى كل زيارة هناك دائمًا تفصيلة تعصف بى ، تركز الفزع . اليوم كانت تلك الجوارب البنية الكبيرة التى يضعونها لها ، والتى ترتفع إلى ركبتيها ، مرخاة للغاية ، ولا تكف عن السقوط .

حركتى الغريبة : أن أرفع قميصها كى أرى فخذيها عاريين . إنهما نحيلان إلى درجة فظيعة .

عندما تضحك تبدو دومًا كامرأة الماضى .

كان الجو جميلاً ، وباردًا . لم أعد أخرج من هذه النقطة : بداية مرضها ، منذ عامين ... إذن فقد كانت تخرج لتتجول مع مايا (١) ، أو لتقابل محاسبًا ، أو كانت تصعد لتنام فى المساء ، إلى جوار الأولاد.

الخميس ٢٠

كل شىء يصبح صعبًا ، مقلقًا . أحكى طفولة أمى ، مراهقتها ، "أراها" فى رأسى، القوة، الجمال، الحرارة. وأجدها مثل اليوم ، نائمة ، فمها مفغور ، ناحلة . أحتاج إلى أن أصرخ : "إنه أنا يا ماما !" لا يمكن للصورتين أن تتطابقا . وأتقدم فى كتابتى نحو تلك اللحظة التى سوف تكون فيها فى كرسيها على هذا النحو . لكنها إن لم تصر كذلك ،

(١) اسم الكلبة التى كانت لدينا .

لو سارت الحياة أسرع من الكتابة ، فلا أعرف إن كان ما أفعله عملاً للحياة أم للموت .

توزيع الجاتوه . تردد حكيمة: "إنهن سيدات يوم الخميس !" نساء ، محبات تعطين لكل واحدة قطعتين من الجاتوه . لم تعد أعصابى تُثار عندما تبصق قطع الحلوى الكبيرة للغاية . أقطعها لها أصغر . نحولها يرعبنى . ربما لم يعد لديهم الصبر لكى يأكلوها . تقول لى : "معكِ ، أنا فى أيدٍ أمينة ..." .

مارس

الأحد ٢

يبدو لى أنها لم تعد تتغير منذ زمن طويل ، حالتها لا تسوء . أتعود عليها . إنها لا تجد فمها ويمتلئ جسمها بالزرقة ، لا شك أنها الضربات التى تحدثها لنفسها فى أسوار سريرها . تأتينى الكلمات التى نقولها للأطفال : "هل جرحت نفسك" أو" ما قولك إذن؟" ببلاهة .

الأحد ١٦

أعطيها قطعة بريوش باللوز ، إنها عاجزة عن أن تأكلها وحدها ، شفتاها ترضعان الفرا غ . فى تلك اللحظة أود لو تموت ، أود ألا تكون

فى هذا التحلل . إنها تتصلب ، تحاول النهوض من مقعدها ، وبعد ذلك مباشرة تفوح رائحة تثير الغثيان . لقد ارتاحت مثل الطفل حديث الولادة الذى أعطوه طعامًا . فزع وعجز . يدها اليمنى متصلبة تمامًا ، تضم يدى بقسوة ، إنها كذلك قوة أصابع حديث الولادة .

أحد الفصح

عيد الفصح الثالث الذى تقضيه هنا . فى كل مرة آتى فيها يصعب علىَّ تعرفها ، وجهها يتغير باستمرار ، اليوم فمها مشدود إلى اليمين . أحضرت لها دجاجة من الشيكولاتة . القطعة التى نزعتها لها كبيرة للغاية ، لا تضعها كلها فى فمها ، فتنزلق ، تحاول الإمساك بها ، لكنها تمسك بذقنها بدلاً منها . تلك الإيماءة ، وكل الإيماءات الأخرى التى تتعارك فيها مع الفراغ ، هى أكثر الأشياء فزعًا . ثم تعجن قطعة شيكولاتة بدلاً من أن ترفعها إلى فمها، ثم تحاول أن تأكلها، بلا جدوى . الشيكولاتة متناثرة عليها. إنها النقطة التى ينقلب فيها كل شىء ، لم يعد للفزع أهمية ، بل إنه أيضًا أصبح ضروريا. هيا ، انثريها فى كل مكان ، لوثى نفسك تمامًا . نوع من الغضب يرجع إلى طفولتى ، أن أدمر كل شىء ، أوسخه ، وأسير فى القذارة . هذه المرة ، الغضب يتجه نحوها . بعد أن أطعمتها ونظفتها ، قالت : "هل لديك كل أسنانك ؟ أنا ، طقم أسنانى قد ..." (كلمة غير مفهومة) أقول لها إننى سوف أصنع لها واحداً ، أقول لها أى شىء مثلما نفعل مع الأطفال .

جـارة أمى تبكى ، تنتـحب فى كـرسـيـهـا . أريد أن أعطيـهـا قطعـة شـيكولاتة ، لكنهـا ترفض وهى ترفع وجـهـهـا ، قـبـيـح جدا ، مـتـورم من البكاء لا أستطيع أن أتحـمل ذلك . ولا هذا . أمـيل للتـأكـد من صـلابة إيقاف كرسى أمى . تميل وتقبّل شعرى . أن تحيا بهذه الإيماءة ، بهذا الحب ، أمى ، أمى .

إبريل

الأحد ٦

كل وجـهـهـا عذوبة ، لم يعد شىء يبقى من فكيـهـا المتـصلبين ، ومن نظرتهـا الطريدة . لقد وضـعـوا لـهـا جـوارب صـوفـيـة ضـخـمـة ، لتـدفـئـة الفخـذين . رفعـت قميصـهـا ، كان لديهـا ميكروكروم على ثنايا فخذيها ، لا شك بسـبب تقـرحـات الجلد من البـول المهـيج . الآن ، "عـادت" إلى تلك المرأة التى كنت أراها منذ عامين ، هنا فى عـيـد الفـصـح ، والتى كـانت تظهر عضوها بلا حياء .

الإثنين ٧

لقـد مـاتت . أشـعـر بألم هـائل . منذ الصـبـاح وأنا أبكى . لا أعرف ماذا يحدث. كل شىء هنا . توقفت الحسابات ، أجل . لا يمكننا أن نتنبأ بالألم. تلك الرغبة فى أن أراها مـرة أخرى . جاءت تلك اللحظة دون أن أكون قد تخيلتها، أو تنبأت بها. كنت سوف أفضلها مجنونة عنها ميتة.

أرغب فى التقيؤ ، رأسى يؤلمنى . كان لدىَّ كل ذلك الوقت لكى أتصالح معها لكننى لم أبذل ما يكفى . لم أفكر بالأمس أنها ربما كانت المرة الأخيرة التى أراها .

كانت الحلوى التى أحضرتها لها البارحة ، ماتزال على الطاولة ، فى برطمان المربى . لقد أحضرت لها أيضًا شيكولاتة ، "فواكه الغابة" ، وقد أكلت كل القطعة . حلقت لها ، ووضعتُ لها ماء الكولونيا . "انتهى" . "لم تكن سوى الحياة" . كانت تمد يديها إلى الأمام لتتشبث .

إنها تشبه دمية صغيرة مسكينة. أعطيت إلى الممرضة قميص النوم الذى كانت تريد أن تُدفن فيه ، أبيض بالدانتيل . إنهم لا يريدوننا أن نفعل أى شىء كان . كنت أريد أن ألبسه لها .

لن أسمعها بعد الآن .

لا أستطيع أن أتذكر الكلام الذى قالته بالأمس ، ولا كلمة . بلى ، لقد قالت لأناس "خذوا كراسى ، واجلسوا" ، شىء من هذا القبيل .

الثلاثاء ٨

هذا هو اليوم الذى لم يطلع عليها نهاره . لقد كانت هى الحياة ، لا شىء سوى الحياة ، والعنف . الزمن رمادى ، تلك المدينة الجديدة التى لم تحبها أبدًا ، والتى ماتت فيها . هل سوف أخرج من هذا الألم ؟

كل الإيماءات تربطني بها، ربما أستهلك ذلك الألم، أرهقه بالحكى والوصف . لا يمكنني أن أقرأ ما دونته من قبل ، فى هذا ألم بالغ . الرهيب هو العلاقة بين هاتين السنتين ونصف من التحلل - حيث اقتربت منى خلالهما - وموتها . عادت طفلة من جديد ، لكنها لن تكبر . رغبتى المتكررة فى أن أطعمها ، أقص لها أظافرها ، أصفف شعرها . أحد عيد الفصح ، شعرها نظيف ، طرى . لا يمكن تخيل أن ذلك قد توقف .

حتى اليوم لم ينته الأمر تماماً .

غداً يمكنني أن ألقى وردة في تابوتها ، أن أضع لها مسبحتها . لكن من أجل لا شيء ، مجرد شيء "مكتوب". من المفزع أن أتخيل كتاباً عنها. الأدب لا يمكنه شيئاً .

مررت من اللوفرى Loouvrais ، ذلك الحى الرمادى الذى لم تحبه أبداً ، تلك المنطقة الباريسية التى كانت تعيسة فيها . رغبة فى أن أمر أمام محل مصفف الشعر الذى أخذتها إليه في يناير ٨٤ .

الزمن الماضى القديم الآن ، "لقد كانت"، إلى آخره . فى تلك الليلة أثناء عجزها عن النوم "كان الماضى المركب من تلك اللحظة فصاعداً ". دائماً أرى الأحد الأخير ، اليوم الأخير .

الخميس ١٠

أشعر بالقلق كما لو كان شيء آخر سوف يقع ، أدرك أنه لا شيء سوف يقع .

"ها قد اجتمعا" (هى وأبى) ، "لقــد تخلصت" . تلك العبارات التى لا أفـهـمـهـا التى لا تلمسنى ، لكن ربما يجب أن أنطق بها . فى محل الجزارة، ذلك الصباح (كانت آخر مرة ذهبت هناك "قبل") ، بطء الناس ، وهم يختارون بعناية فائقة هذه القطعة أو تلك . شىء مفزع ! .

رأيتنى مرة أخرى ، أجلس جوارها يوم الأحد ، أقرأ حكايات ڤاديم مع بريچيت باردو . مدت يدها فى لحظة نحو الجريدة . كانت العجوز الأخرى تريد أن تغلق الباب .

نزلت إلى البدروم . كانت هناك حقيبة ملابسها وحافظة نقودها ، وحقيبة يد صيفية بيضاء ، وعدة أوشحة . بقيت أمام حقيبة ملابسها فاغرة فمى ، أمام تلك الأشياء ، لا أعرف ماذا أنتظر .

ليست لدى رغبة فى أن أفتح خطاباتى ، لا يمكننى أن أقرأ . أعرف أننى لم أكن فى تلك الحالة سوى مرتين أو ثلاثة طوال حياتى ، بعد علاقة حب ، بعد الإجهاض. وألمى القديم، عندما "لم ألحقها" فى روان **Rouen** ، ذات خميس ، بعد الظهيرة . وكذلك عندما اضطررت لتركها فى كالى **Calais** قبل أن آخذ السفينة إلى إنجلترا ، فى عام ٦٠ .

قبلتُ أن تتحول إلى فتاة صغيرة مرة أخرى ، ولن تكبر . لأول مرة أفهم بيت إيلواد "الزمن يفيض" .

كل ما يطلبونه منى – مقالات ومناظرات – يبدو لى مستحيلاً ، غير ذى جدوى .

الأسوأ منذ عامين هو أننى كتبت عنها، نصا فى الفيجارو، وقصة للجريدة الأخرى ، وتدوينات بعد زياراتى لها . لم أفكر أنها قد تموت .

تلقيت كراسات لأصححها . لا أحس بالانزعاج المعتاد ، لكنى أشعر بأنه يمكننى أن أصححها ، أو لا أصححها ، بأنه لا أهمية لذلك ، وسواء صُححت أو لا .

كنت أعتقد أنها سوف تموت عندما كان عمرى خمس سنوات ، عندما سافرت وحدها للحج فى لورد **Lourdes** .

لقد بحثت عن حب أمى فى كل مكان فى العالم . ليس هذا أدبًا الذى أكتبه . أرى الفارق بينه وبين الكتب التى كتبتها ، أو لا أراه لأننى لا أستطيع أن أكتب كتبًا لا تكون هكذا ، رغبةً فى الإنقاذ ، فى الفهم ، لكن الإنقاذ أولاً. فى الهاتف ، آنى، لقد قال لى «أ» إننا لا يمكننا أن نسجل ما نشعر به مباشرة ، لابد من الدوران حوله . لا أعرف .

الكراهية والحب . لم أستطع أبدًا أن أحكى لها عن إجهاضى . لكن لم يعد لذلك معنى .

أقرأ عدة مرات الجريدة قبل أن أدرك المعنى . ليس هناك كتاب يمكننى تحمله . سوف يكون البعض لا يُطاق لأنه يحكى عما أعيشه . أما الكتب الأخرى فلا فائدة منها مطلقًا ، مجرد تلفيق .

رغبة فى أن أعود لأرى محل مصفف الشعر . فى كوردولييه **Cordelirs** ، حيث أخذتها فى يناير عام ٨٤ .

يمكننى أن أنتظر ، ولا يمكننى ألا أكتب شيئًا .

فى الحالة التى أنا فيها يمكننى أن "أنزل أسفل من ذلك" أيضًا أشعر بذلك .

كل الآلام التى عشتها لم تكن سوى تكرار لهذا الألم .

فى الهاتف أخذت موعداً لضبط أوتار البيانو . تقول المرأة : "اليوم ٩، آه! لا ! ١٠!" تضحك. هناك أناس عديدون فى العالم لا يعنيهم ما إذا كان اليوم ٩ أم ١٠ أبريل .

فزع أن أقرأ "جريدة" الزيارات .

أدور فى المنزل ، أفكر أنه يجب أن أرتب فراشى ، أن أطهو . ليس هناك شىء ضرورى. عندما أجلس إلى مكتبى، لا يمكننى أن أكتب إلا عليه.

لقد عملت بالحديقة . كانت تلك اللحظة التى نسيتُ فيها إلى أكبر درجة . فلحتُ الأرض ، نزعت الجذور الرديئة من الممر . إننى فى الوقت نفسه من السنة الذى كنتُ فيه عندما كانت لا تزال حية ، الجو بارد وملىء بالندى .

لا شك أنه يمكننى الانتظار قبل أن أكتب عن أمى . الانتظار حتى أفلت من تلك الأيام . لكنها هى الحقيقة ، حتى لو لم أكن أعرف أية حقيقة هى .

عندما كنت أكتب عنها بعد الزيارات، ألم يكن ذلك لاستبقاء الحياة؟

الجمعة ١١

أعرف أننى لست على ما يرام لأننى أعيد قراءة كراسات الطلبة مرتين وثلاثة قبل أن أفهم .

سوف يتعين علىَّ أن أحكى لكى أضع الأمر خارجى . تذكرت أن ملفا يتعلق بأعمال أمى كان موجوداً فى درج بمكتبى . لم أستطع أن ألقى بكل الأوراق ، فقط ورقة أو ورقتين . كان هناك إيصال طلبها لتغيير عنوانها من إيڤوتو إلى سيرچى ، من سبتمبر ٨٣ إلى سبتمبر ٨٤ .

ينتابنى وجع بالبطن من ذلك. أعرف أنه لم يعد لدىَّ شىء لأنتظره .

لا يمكننى فعلاً أن أقرأ سوى الجريدة .

ذات يوم ، ربما يمكننى أن أقرأ الملحوظات التى كتبتها بعد رجوعى من زياراتها ، ربما سوف تبدو لى ذات استمرارية ، الحياة والموت . فى هذ اللحظة أنا فى القطيعة ، قطيعة الإثنين .

السبت ١٢

على إحدى بطاقات العزاء لواحد من صديقاتها بأنيسى :

"تلك هى الحياة ! " أظل غبية أمام ذلك التعبير .

فى الأسبوع الماضى لم أتوقف عن رغبتى فى الوصول بالسيارة قبل ساعة معينة ، ومن ثم - لو نجحت فى ذلك - أستنتج أن شيئًا ما سوف يقع لى . لم أعد أنتظر شيئًا .

أن أفهم ذلك حقا : امرأة كانت قد فقدت ابنتها الصغيرة ذات الشهور العشرة ، في الحي الذي تربيتُ فيه ، ذهبت إلى مصفف الشعر بعد ظهيرة ذلك اليوم .

ذلك الخوف من أن أقرأ ما كتبته عنها . خوف أيضًا من أن أبدأ الكتابة عن انتفاء الآدمية ، عن آخر يوم رأيتها فيه حية .

منذ يومين ، وأنا لا أستطيع أن أجمع مما يتشابه مع كل أيام الآحاد التى كنت أذهب فيها لزيارتها ، ومع الإثنين ، اليوم الأخير ، يوم موتها . الحياة ، الموت ، يظلان على جانبى شىء ما منفصلين .

أنا فى حالة انفكاك . ذات يوم ربما سوف ينتهى الأمر ، وسوف يترابط كل شىء ، مثل حكاية . لكى أكتب لابد أن أنتظر حتى يندمج هذان اليومان فى بقية حياتى .

أعرف أننى فى تلك الحالة لأننى منذ عامين ونصف - فى اليوم الذى عثرت عليها فيه نائمة - تمنيت أن تعيش . وتقبلتها هكذا ، فى تحللها .

الآن يتبدى لى المعنى منذ ذلك اليوم . كان ذلك فى المساء ، فى مايو ، وكانت الشمس مشرقة . كانت هى راقدة ، نائمة . عادت إلىَّ طفولتى، أيام الآحاد ، بعد الظهيرة ، عندما كنا ننام معًا . ثم سى **Sées** ١٩٥٨ ، عندما كنت أبرد فى سريرى ، وكلود چى . مسيطر على تفكيرى، وبسبب «أ» فى ٨٤ . حب وحيد ومتطابق .

عند الاستيقاظ "أعرف" أن أمى قد ماتت . كل صباح أخرج من موتها . بالأمس رأيت مرة أخرى الحانوتى ، ورأسه مائل قليلاً بسبب التعاطف المحترف ، وعنده فارق فى شعره من الجانب .

الأحد ١٣

إنه البرد دائمًا . بالأمس الجليد . الفكرة نفسها عند الاستيقاظ . فى الأيام الأولى لم أفعل سوى البكاء دون أن أستطيع السيطرة على نفسى . الآن يطرأ ذلك فجأة من أجل تفصيلة ما ، أو عند رؤية شىء .

اليوم الأحد للمرة الأولى لن أذهب إلى المستشفى حوالى الساعة الثانية أو الثالثة .

لقد اشتريت حلوى من القرية .

ألم أكثر فى الخارج عما هو فى الداخل . كما لو كنت أبحث عنها فى الخارج. الخارج هو العالم. فيما قبل كانت هى فى مكان ما من العالم.

سبتمبر ٨٣ ، نحن معًا فى شقتها الصغيرة ، نرتب أوراقًا ، ونلقى أخرى ، قبل رحيلها إلى سيرچى ، إلى بيتى . كانت تلك إذن بداية النهاية .

عدم القدرة على قراءة الصفحات السابقة .

عدم القدرة كذلك على "كتابة حقيقية" عنها .

حاولت أن أتذكر كل شيء عن الزيارة الأخيرة التى قمت بها لها ، كما لو كنت أفقد شيئًا ما .

الإثنين ١٤

هذا الصباح ، بدا لى أنها ما تزال حية. فى المخبز، أمام الجاتوه "لم أعد بحاجة لشرائه" ، مثلما "لم أعد بحاجة للذهاب إلى المستشفى" .

أفكر فى غنوة "الورود البيضاء" التى كانت تجعلنى أبكى فى طفولتى . أبكى من جديد لتلك الغنوة .

الأربعاء ١٦

بمجرد أن أكون فى مكتبى ، وحيدة ، أُثقل من جديد . لا يمكننى إلا الحديث عنها ، كتابة أى شىء آخر - أيًا كان - مستحيلة .

المرة الأولى التى كتبت فيها "ماما ماتت" . فزع . لن يمكننى أبدًا أن أكتب تلك الكلمات فى قصة متخيلة .

الأحد ٢٠

أنظر إلى صورها فى سن الخمسين. إحساس أنها حية ، فياضة ، شعرها أشقر مائل للحَمار . صورة بالأبيض والأسود ، لكننى كما لو كنت أراها ملونة ، وفيها شمس .

بين الساعة الثالثة والرابعة كانت لدىَّ رغبة أن أحكى عن المرة الأخيرة التى رأيتها فيها على قيد الحياة ، منذ أسبوعين بالضبط .

الإثنين ٢٨

تذكرت هذا الصباح - بسبب كلمة قرأتها فى فاتورة : "ماء ڤان" - أننى كنت أسميها ڤاني ، عندما كان عمرى ست أو سبع سنوات . تجمعت الدموع فى عينى ، ذلك بسبب الزمن .

المؤلفة فى سطور :

آنى إرنو

كاتبة فرنسية قضت طفولتها وشبابها فى إيفتو بنورموندى .

حاصلة على شهادة الآداب المعاصرة ، ومدرسة بالمركز القومى للتعلم عن بعد .

تقطن بفال دواز فى سيرجى .

صدر لها عدة روايات ، من أهمها "المكان" و"عشق بسيط" و"امرأة" و"العار" .

المترجمة فى سطور :

نورا أمين

روائية ومترجمة صدر لها :

- رواية "قميص وردى فارغ" ، و"الوفاة الثانية لرجل الساعات" و"حالات التعاطف" .

- وتعمل فى الإخراج والتمثيل المسرحى .

المشروع القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنبًا إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

١-	اللغة العليا	جون كوين	أحمد درويش
٢-	الوثنية والإسلام (ط١)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بلبع
٣-	التراث المسروق	جورج جيمس	شوقى جلال
٤-	كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنكوفا	أحمد الحضرى
٥-	ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
٦-	اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	سعد مصلوح ووفاء كامل فايد
٧-	العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	يوسف الأنطكى
٨-	مشعلو الحرائق	ماكس فريش	مصطفى ماهر
٩-	التغيرات البيئية	أندرو. س. جودى	محمود محمد عاشور
١٠-	خطاب الحكاية	چيرار چينيت	محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
١١-	مختارات	فيسوافا شيمبوريسكا	هناء عبد الفتاح
١٢-	طريق الحرير	ديفيد براونيستون وايرين فرانك	أحمد محمود
١٣-	ديانة الساميين	روبرتسن سميث	عبد الوهاب علوب
١٤-	التحليل النفسى للأدب	جان بيلمان نويل	حسن المودن
١٥-	الحركات الفنية	إدوارد لويس سميث	أشرف رفيق عفيفى
١٦-	أثينة السوداء (جـ١)	مارتن برنال	بإشراف: أحمد عتمان
١٧-	مختارات	فيليب لاركين	محمد مصطفى بدوى
١٨-	الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	طلعت شاهين
١٩-	الأعمال الشعرية الكاملة	چورج سفيريس	نعيم عطية
٢٠-	قصة العلم	ج. ج. كراوثر	يمنى طريف الخولى و بدوى عبد الفتاح
٢١-	خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجى	ماجدة العنانى
٢٢-	مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	سيد أحمد على الناصرى
٢٣-	تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	سعيد توفيق
٢٤-	ظلال المستقبل	باتريك بارندر	بكر عباس
٢٥-	مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦-	دين مصر العام	محمد حسين هيكل	أحمد محمد حسين هيكل
٢٧-	التنوع البشرى الخلاق	مقالات	نخبة
٢٨-	رسالة فى التسامح	جون لوك	منى أبو سنة
٢٩-	الموت والوجود	جيمس ب. كارس	بدر الديب
٣٠-	الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بلبع
٣١-	مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه - كلود كاين	عبد الستار الحلوجى وعبد الوهاب علوب
٣٢-	الانقراض	ديفيد روس	مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣-	التاريخ الاقتصادى لأفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	أحمد فؤاد بلبع
٣٤-	الرواية العربية	روجر آلن	حصة إبراهيم المنيف
٣٥-	الأسطورة والحداثة	پول . ب . ديكسون	خليل كلفت
٣٦-	نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	حياة جاسم محمد

٣٨-	نقد الحداثة	آلن تورين	أنور مغيث
٣٩-	الإغريق والحسد	بيتر والكوت	منيرة كروان
٤٠-	قصائد حب	آن سكستون	محمد عيد إبراهيم
٤١-	ما بعد المركزية الأوروبية	بيتر جران	عاطف أحمد وإبراهيم فتحى ومحمود ماجد
٤٢-	عالم ماك	بنجامين باربر	أحمد محمود
٤٣-	اللهب المزدوج	أوكتافيو پاث	المهدى أخريف
٤٤-	بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلى	مارلين تادرس
٤٥-	التراث المغدور	روبرت ج دنيا - جون ف أ فاين	أحمد محمود
٤٦-	عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	محمود السيد على
٤٧-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ١)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨-	حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ماهر جويجاتى
٤٩-	الإسلام فى البلقان	هـ . ت . نوريس	عبد الوهاب علوب
٥٠-	ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى
٥١-	مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانويبا وخ. م بينياليستى	محمد أبو العطا
٥٢-	العلاج النفسى التدعيمى	ب. نوفاليس وس . روجسيفيتز وروجر بيل	لطفى فطيم وعادل دمرداش
٥٣-	الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	مرسى سعد الدين
٥٤-	المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	محسن مصيلحى
٥٥-	ما وراء العلم	چون بولكنجهوم	على يوسف على
٥٦-	الأعمال الشعرية الكاملة (جـ١)	فديريكو غرسية لوركا	محمود على مكى
٥٧-	الأعمال الشعرية الكاملة (جـ٢)	فديريكو غرسية لوركا	محمود السيد و ماهر البطوطى
٥٨-	مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	محمد أبو العطا
٥٩-	المحبرة (مسرحية)	كارلوس مونييث	السيد السيد سهيم
٦٠-	التصميم والشكل	جوهانز إيتين	صبرى محمد عبد الغنى
٦١-	موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور - سميث	مراجعة وإشراف : محمد الجوهرى
٦٢-	لذّة النّص	رولان بارت	محمد خير البقاعى .
٦٣-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٢)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤-	برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	رمسيس عوض .
٦٥-	فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	رمسيس عوض .
٦٦-	خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧-	مختارات	فرناندو بيسوا	المهدى أخريف
٦٨-	نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	أشرف الصباغ
٦٩-	العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠-	ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١-	السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	حسين محمود
٧٢-	السياسى العجوز	ت . س . إليوت	فؤاد مجلى
٧٣-	نقد استجابة القارئ	چين . ب . توميكنز	حسن ناظم وعلى حاكم
٧٤-	صلاح الدين والمماليك فى مصر	ل . ا . سيمينوڤا	حسن بيومى
٧٥-	فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	أحمد درويش

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٠٧٢٣ / ٢٠٠٥

المجلس الأعلى للثقافة



لا يمكن فى أية حال، أن تقرأ تلك الصفحات بوصفها شهادة موضوعية عن «الرحلة الطويلة» فى منزل المسنين، ولا بوصفها تشهيرًا (فقد كانت الممرضات - بصفة عامة - ذات إخلاص كبير)، وإنما فقط بقية من ألم.

«لم أخرج من ليلى» هى العبارة الأخيرة التى كتبتها أمى. كثيرًا ما أحلم بها، كما كانت تمامًا قبل مرضها، إنها حية لكنها كانت قد ماتت. عندما أستيقظ ولمدة دقيقة، أكون على يقين أنها تعيش بالفعل تحت هذا الشكل المزدوج: ميتة وحية فى آنٍ، مثل تلك الشخوص فى الأساطير الإغريقية الذين عبروا مرتين نهر الموتى.

هشام نوار